رواية

حياة نور

داليا العطار

الإهداء

إلى...

– روح والدى الذى أعطانا كل ما يملك دون مقابل.

– أمى التى تعلمت منها قوة الإرادة.

– أخى الذى يتغلب على الصعاب بروح الفكاهة

– روح والدة زوجى مثال الصبر

– زوجى الذى علمنى أنه لا سقف للطموح

– أولادى الذين هم امتداد لى، من خلقوا لزمن غير زمننا، تعلموا منى صغارا، وعلمونى كباراً، فاقتبست منهم الكثير من الجمل المعبرة التى أثرت روايتى

– أخواتى اللاتى لم تلدهن أمى، أخوات زوجي

– كل أقاربى وأفراد عائلتى الكبيرة التى أعتز بأننى أنتمى إليها

– أصحابى الذين شجعونى.

– كل من أهدتنى الحياة معرفتهم كى يضيفوا إليّ معنى أو تجربة أو صدمة تقويني.

– شكرا لكل من لى فى قلبه مكانة، وشكرا لكل من قرأ روايتى فأعجبته

داليا العطار

شكر خاص

للإذاعى الأديب مرسي عبد العليم
على دعمه الأدبى
ودوره النبيل في خروج هذه الرواية
للنور

داليا العطار

مقدمة

إلى كل من أخفق وضاقت عليه الدنيا.

إلى كل من تألم وخارت قواه.

إلى كل من تجرع شعور الفقد.

أقول:

* ليست الأخطاء عارا، بل هى تجارب لولاها ما تعلمنا.

* ما يزيد الألمُ الأقوياءَ إلا صلابة.

* تحتاج اليوم لمن يساعدك، وغداً ستساعد أنت من أنهكه التعب.

* قد تهدينا الحياة أناسا لا نعرف قيمتهم، إلا بعدما يأتينا ممن أحببنا الوجع.

* سلامك النفسى مسؤوليتك أنت تجاه نفسك.

* إذا أظلمت الدنيا بأكملها فابحث أنت عن النور فى حياتك.

الفصل الأول

- أهلا وسهلا اتفضلوا

الغرفة طلاؤها مريح فأنا أحب لون (الكافيه)، يدخلها الضوء بشكل كبير، فهى محاطة بشبابيك زجاج، تطل على رووف مملوء بالزرع، ولها سقف يحتوى على (شخشيخة) من الطوب الزجاجى، الذى يسمح بمرور أشعة الشمس.

- يلا نبدأ، أنا حياة... معالجة نفسية درست (الفاملى كنستليشن)، أى نظام تشكيل العائلة، وقريت كتير فى الطب النفسى، الهدف من (الجروب) ده إننا نوصل للسلام النفسى، ونتصالح مع نفسنا عشان تقدر نتصالح مع كل إلى حوالينا، ونتعامل مع المشاكل اللى بتقابلنا بالشكل اللى يخلينا نستمتع بحياتنا ونعيشها بشكل أفضل.

النهارده الجلسة هتكون جلسة تعارف، كلكم أو معظمكم هيحس بمشاعر متضاربة، وده شيء طبيعى، مثلا، عدم القدرة على التعبيرعن النفس، عدم الرغبة فى الكلام، عدم الرغبة فى الاستمرار، إحباط، عدم الشعور بجدوى (الجروب)، ومقاومة لفكرة

(الجروب)، والبعض هيشعر بالتفاؤل والراحة النفسية والأمل.
وفى الجلسات اللى جاية المشاعر السلبية هتتبدل بمشاعر إيجابية، واللى كان بيشعر بمشاعر إيجابية ممكن يشعر بمشاعر سلبية مؤقتة، وهتفضل مشاعركم تتبدل من السلبى للإيجابى خلال الجلسات مثل هذا البندول إلى أن تهدأ حركته وتصبح فى إطار مقبول ليكم، وتقدروا تتعايشو معاها، و تتقبلوها بدون انزعاج أو إحباط، وبالتالى الناس اللى حوليكم هيتقبلوكم بشكل أفضل، وهيتأثروا بيكم بشكل إيجابى وهيغيروا طريقة معاملتهم معاكم بشكل أفضل بكتير قوى.
فيه قواعد للجلسة كلنا هنلتزم بيها وأنا أولكم:
هنقفل (الموبيلات)، وممكن نبعت رسائل للناس اللى ممكن يقلقوا علينا، ونقولهم إننا فى جلسة علاج أو اجتماع.
ما فيش دخول متأخر للجلسة باستثناء الجلسة القادمة فقط.
اللى مش هييجى الجلسة القادمة هيعتبر خارج المجموعة
ثم استكملت باقى التعليمات:
ما فيش أحكام على الآخرين.

ما فيش مقاطعة للشخص اللى بيتكلم.
ما فيش تعبيرات جارحة.
ما فيش ألفاظ بذيئة.
ما فيش مشاركة بيانات شخصية بينكم وبين بعض.
لما تتقابلوا فى مكان صدفة مش هتسلموا على بعض.
التعليمات دى هتنفذوها لغاية ما أغيرها بنفسى وأبلغكم بأسباب التغيير.

أول جلسة بتكون بلا مقابل، احنا جايين النهارده نتعرف على بعض، هنكتفى بأننا نقول اسمنا الأول، وكل واحد فينا هياخد وقته اللى هيتكلم فيه عن نفسه، وأنا هنبهه قبل انتهاء الوقت المخصص له بدقيقتين ليختم كلامه.

اختلست نظرة حولى للجالسين فوجدت أشخاصاً أصحاء يرتدون ملابس تدل على مستوى ثقافى ومادى مرتفع، فأيقنت أننا جميعا نُخفى بداخلنا الكثير، وأننا لسنا معاقين كما كنت أظن، وإنما نحن أناس أرهقتنا الحياة بمشاكلها، فوقفنا مع أنفسنا وقفة نبحث فيها عن سبيل لتفريغ ما نعانيه من مشاعر سلبية، تجذبنا إلى الخلف، فتدفعنا إلى أن نقسو على أنفسنا، ونظلم الإنسان الذى بداخلنا، فنتهمه بالفشل والضعف، ولا

نكتفى بذلك فحسب، بل نجلده، لنفرغ فيه قسوة الحياة علينا، وشحنات الغضب التى تسللت إلينا، فاكتسبناها رغماً عنا خلال مشوار حياتنا، وقد نضم معنا أناساً آخرين، ربما يكونون أقرب الناس إلينا: الزوجة، الزوج، الابن، الابنة فنمارس عليهم نفس النهج فتتضاعف أعداد المتضررين نفسيا الذين بدورهم يكررون نفس المنهج مع الآخرين وهكذا.

سأل أحد الحضور عن تكلفة الجلسة القادمة فأجابت:

- كله فى وقته، لا تقلق، الموضوع بسيط.

ظهرت علامة عدم الارتياح على السائل وكذلك باقى الحاضرين.

مر الوقت سريعاً، وانتهت الجلسة، وعاد كل منا إلى حياته التى يعجز عن تغيرها بمفرده، وإنما يحاول أن يَطرق كل الأبواب بحثاً عن السعادة.

الفصل الثاني

جاء موعد الجلسة التالية، وبدأت الأفكار المتضاربة تراودنى، لن أذهب، فلم أشعر بتحسن ملحوظ، قد يكون تغيراً بسيطاً، لا يذكر، ولا يساوى عناء النزول، ثم إنها لم تذكر تكلفة الجلسة، واكتفت بعبارات مبهمة، فهل هى تريد أن تحرجنا، وتطلب منا مبلغاً كبيراً؟ أم أنها تريد أن نعتاد عليها، حتى لا نستطيع الاستغناء عنها، وحينئذ تطلب منا قيمة مبالغاً فيها، فنجد أنفسنا فى مأزق، ونضطر إما إلى أن نخضع وندفع ما يثقل كاهل البعض منا، أو أن نتوقف عن الجلسات ونرجع إلى الوراء مرة أخرى، ونشعر بالإحباط وخيبة الأمل، وتتدهور حالتنا، هى لا تعرف شيئاً عنى، ولن يلاحقنى أحد للذهاب مرة أخرى، والجلسة كانت بلا مقابل مادى، إذن الأمر منتهٍ، ولا داعى للقلق.

الوقت يمر، ودقات الساعة تشير إلى أن الوقت قد أزف، وأننى لن أتمكن من الذهاب فى الوقت المحدد فهى لا تقبل بالتأخير، إذن لن أذهب .. هذا أفضل .. إنها شخصية غامضة، لا تستطيع أن تعرف ما يدور بداخلها .. تسمع وتسجل ملاحظات، وإذا تكلمت تحيرك بكلامها.. قضى الأمر .. الوقت لن يسعفنى فى

الذهاب.. انتهى الأمر.. أنا مرتاحة نفسيا ولا أشعر بالذنب.

شرد ذهنى، ورنت فى اذنى كلمة **"**طيب وبعدين**؟!"**

أيوه فعلا وبعدين هافضل كده مش مرتاحة، وحاسة إن فيه حاجة نقصانى، ومش عارفه أتقدم فى حياتى، ومش عارفه أعبر عن نفسى وأحقق احلامى؟

دى الحقيقة اللى مش هاقدر أنكرها ولا أداريها عن نفسى، أنا عاوزة أروح، بس ممكن الموضوع يفشل، هاكون حاولت، وأكيد هاكون اتعلمت حاجة حتى لو حاجة بسيطة، بس ممكن تساعدنى، وأقدر ابتدى منها.. لكن خلاص، للأسف مش هينفع، الوقت اتأخر، وهى قالت ونبهت أنها مش هتسمح بالتأخير.

شعرت بإحباط وندم لم أشعر بهما من قبل، وشعرت ببرودة فى جسمى، وتنميل فى أطراف أصابعى وألم فى صدرى، وصدى الم فى ظهرى مع كل نفس .. إنها حالة (البانك أتاك) التى تهاجمنى منذ فترة طويلة مع كل صدمة أو حزن أشعر به، متلازمة القلب المكسور التى تكلم عنها الدكتور مجدى يعقوب.

هل أنا أصبحت هشة إلى هذا الحد**؟!**

هل أصبحت أتأثر بأقل الأمور، وأعانى كل هذه المعاناة ؟!

يا ربى ساعدنى .. لماذا يحدث لى كل هذا؟

لماذا أنا لست سعيدة؟

هل سأعيش بقية حياتى ضعيفة، لا أستطيع أن أتخذ أبسط القرارات، ولا أن اقوم بأبسط الأمور الحياتية التى يمارسها البعض بكل بساطة؟!

تملكنى اليأس، وازدادت شدة الألم التى أشعر بها حتى شعرت أننى لا أستطيع أن أتنفس، ثم مرت أمامى صورتها، وهى تتكلم، وسمعت صوتها وهى تسرد الشروط "ما فيش .. ما فيش .. ما فيش" وشعرت بغرغرة عينىَّ، فأغمضت عينى لأشعر بلسعات دموعى التى تنهمر على ظهر كفى، وكأنها قبلة الحياة التى أنتظرها لتذكرنى بنصف الكوب المملوء "باستثناء الجلسة القادمة فقط ".

تلك كانت كلماتها، نعم قالت هذه العبارة: "باستثناء الجلسة القادمة فقط".

بدأت أشعر بتدفق الدم فى جسمى، وبدأت أسترجع الإحساس بأطرافى مرة أخرى، ووجدتنى أقوم من

مقامى، وأرتدى ملابسى، وأنزل إلى الشارع، وأضع هاتفى أمامى حتى يرشدنى إلى أقرب طريق للوصول لوجهتى، وأصعد سلم منزلها بسرعة، فهى تسكن رووف بالطابق الثالث، أطرق باب منزلها، وادخل مسرعة حين تفتح لى الباب، لأجد نفسى وسط المجموعة، ألهث، وتتلاحق أنفاسى، حتى تقدمت إلىَّ إحدى الحضور، وأخذت بيدى، وأجلستنى، وقام زميل آخر لنا بإعطائى زجاجة من الماء، كيف شعروا بى وباحتياجى للمساعدة؟!

الحقيقة التى اكتشفتها أنهم يفتقدون الكثير من الاحتواء والأمان، فكان شعورهم بما أعانيه انعكاسا لاحتياجاتهم المفقودة.

مرت لحظات من الصمت، ثم بدت على الجميع ملامح الارتياح، ثم ارتسمت على وجوههم ابتسامة خفيفة، ثم اتسعت إلى ابتسامة عريضة، ثم بدأنا جميعا فى الضحك .. لم يكن ضحكاً عادياً، بل كان ضحكاً من القلب .. ضحكاً يثلج الصدر .. فكانت تلك الجلسة بداية جديدة لكل منا، بدأنا من خلالها نرسم ملامح الحياة التى يتمناها كل منا لنفسه.

- "الحمد لله التجربة نجحت"

تلك الكلمات التى قالتها حياة، فقطعت ضحكاتنا، وبدأ الشغف يتملكنا حتى نعرف البقية، فهدأت ضحكاتنا شيئاً فشيئاً، فاستطردت حياة قائلة:

- "أيوه زى ما سمعتم انتم نجحتم"

فبدت علامات التعجب تظهر على وجوهنا

- "انتم حضرتم إلى الجلسة، ولم تستسلموا للأفكار السلبية إللى كانت تحاصركم وتشككم فى كل شيء، أهمية الجروب، وربما فى شخصى أنا، حتى فى قدرتكم على الخروج من الصندوق الذى أصبحتم تعيشون فيه، وللأسف اعتدتم عليه، حتى تحول إلى ملاذ آمن لكم، وأصبحت أى خطوة للتغيير والتطوير هى شيء مفزع .. فكم منكم شك اننى قد أكون شخصية مستغلة؟! أو ربما أطلب منكم مبالغ خرافية، أنا أعرف أن معظمكم فكر نفس التفكير، وهذا ما جعلنى أسمح بالتأخير فى جلسة اليوم، لكنكم فى النهاية استطعتم ان تأخذوا القرار الصح .. انتم تغلبتم على كل تلك الهواجس، وهذه أول وأهم خطوة على طريق النجاح.

الخطوة التالية هى شعوركم ببعضكم البعض، فى الجلسة السابقة كان كل منكم شارداً، غير مبالٍ بمشاكل

زملائه، يسفه فى قرارة نفسه ما يسمعه منهم، هل تعرفون السبب؟!

السبب ببساطة أنكم سُجنتم داخل أنفسكم، ففقدتم القدرة على التفاعل مع الآخر، حرمتم أنفسكم من متعة العطاء، اليوم أنتم اختلفتم، بدأتم تشعرون بروح الفريق وتساعدون بعضكم بعضاً، تخليتم عن الأنا "الإيجو" وهو الكبر، لذلك أقول لكم إنكم نجحتم.

كنتم منتظرين أن أصف لكم روشتة سحرية تعيدكم إلى الحياة دون تعب ولا مجهود، فعلا هناك روشتة، ولكن لست أنا من أكتبها، بل أنتم من ستكتبونها بعد أن تعملوا على تغيير أنفسكم، أظن أن جميعكم سوف يسأل نفسه كيف هذا؟!

سأشرح لكم:

فى صبانا، عندما كنا فى مرحلة التعليم، وكان المعلم يشعر بأن أحدنا لا يفهم الدرس جيداً، كان يطلب منه أن يقوم بدور المعلم، ويحاول أن يشرح الدرس بنفسه، وكثيراً ما كنا نكتشف أننا نفهم جيداً، ليس هذا فحسب بل كنا نكتشف أيضاً أن لدينا القدرة على مساعدة الآخرين!!

هل تتذكرون مشاعركم فى تلك اللحظة؟!

هذه هى فكرة "الجروب"، نسمع صوتنا، وصوت الآخرين، ونساعد أنفسنا، ونساعد الآخرين.

كل فرد منكم سوف يكتب تجربته بالتفصيل، ويحيكها أمام زملائه، والكل سيسمعه، ليس هذا فحسب، بل سنضع معاً حلولا وخطة للتغير بناء على الحلول المقترحة.

الفصل الثالث

عدت إلى منزلى وقد امتلأ قلبى بالطمأنينة والامتنان لكونى تغلبت على هواجسى، وذهبت إلى تلك الجلسة التى ربما سوف تغير مجرى حياتى وتدفعنى إلى الأمام، ثم بدأت أمسك بقلمى لأسرد أولى سطور معاناتى

أنا نور المهدى، أبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً، درست إدارة الأعمال بالجامعة الأمريكية، وأقوم بإدارة مجموعة من الشركات المملوكة لوالدى، أتمتع بقدر من الجمال، أو كذلك قيل لى، لدى أخ وأخت توأمان علىَّ وعالية يصغراننى بأربع سنوات، نحن عائلة ليست ميسورة الحال فحسب، بل شديدة الثراء، لم أكن مستهترة كسولة، بل على العكس كنت متحملة للمسئولية، كنت أحضر اجتماعات مجلس الإدارة مع والدى وأنا فى الثامنة عشرة من عمرى كى أعتاد على العمل، وأفهم كل تفاصيله، فأنا الابنة الكبرى التى يجب أن تتحمل المسئولية، ولاسيما أن والدى مريض، فالأمر أصبح حتمياً لا اختيار فيه.

أما والدتى منى هانم، فهى سيدة أعمال من الطراز الفريد، فهى المدير التنفيذى لشركة تطوير عقارى

موروثة عن والدها، يرأسها أخوها الأكبر فؤاد المهدى، ابن عم والدى، فهو المسئول الرسمى أمام الجميع، أما الحقيقة فهى أنه ليس إلا تابعاً لتعليمات أخته، والدتى، التى تتمتع بالذكاء و(الكاريزما)، فهى متحدثة لبقة، ولها القدرة على المواجهة، وتتمتع برباطة الجأش، كلماتها ميزان، على عكس أخيها الذى هو حاد الطباع، عصبى المزاج، فقد استطاعت بذكائها أن تستفيد من صعوبة طباع أخيها، وتحول الدفة إلى وجهتها، فيلجأ إليها الجميع حين تحتدم الأمور، فكانت تمتص ثورة الثائر، لتحصل منه على أفضل العروض بمحض إرادته، فهى حقا بارعة فى المناقشات وتحويل المسار لصالحها، وأصبح خالى يعتمد عليها فى كل صغيرة وكبيرة، مما أثار حفيظة زوجته التى كانت تفهم الأمور جيدا.

أما أنا، فمنذ أن بلغت الثامنة عشرة من عمرى، فقد اعتاد والدى أن يصطحبنى معه إلى الشركة خلال العطلة الصيفية، أحمل جهاز الكمبيوتر الخاص بى، وأحضر الاجتماعات، وأكتب نقاط الاجتماع، ومسودة الرد على البريد الإلكترونى الخاص بوالدى، وقد أبليت بلاء حسناً، وتعلمت الكثير حتى أن والدى أصبح يفتخر بى، ويحاسبنى حساباً ليس باليسير إذا

أخطأت، فأنا المدير المنتظر لمجموعة الشركات، وكان دائما يردد "غلطة الشاطر بعشرة".

فى البداية بدا الأمر مشوقاً وممتعاً، فقد كنت أشعر بالفخر، وأنا أتولى تلك المهام، وثقة فى النفس لم أشعر بها من قبل، ولكن مع مرور الوقت وزيادة الأعباء وتوقعات من حولى وانتظارهم لكل ما هو جديد من أفكار خارج الصندوق، بدأت أشعر بأننى لست فى بداية العشرينيات، بل أننى قد تجاوزت الأربعين من عمرى، وخاصةً اننى أصبحت مُطالبة بأن أتصرف كسيدة أعمال، لا كطالبة جامعية، ترغب فى الخروج مع أصدقائها، وأن تحضر حفلات المغنين الشباب لترقص وتلهو مثل قرنائها، وتسافر لرحلات سفارى، وغيرها من الأمور التى أصبحت أسمع عنها عن بعد.

ليس هذا فحسب، بل إننى أصبحت وحيدة بلا أصدقاء، فكلهم يعتادون الخروج مع بعضهم البعض بشكل منتظم، وأصبح بينهم موضوعات عديدة، ومواقف طريفة يتذكرونها، ويتحدثون عنها دائماً، أما أنا فأصبحت الحاضر الغائب الذى لا يجد نفسه وسط أبناء وبنات جيله، بل إننى فى بعض الأحيان كنت أشعر بان وجودى معهم لا يريح البعض منهم، لا

أستطيع ان القى باللوم عليهم، فأنا لست متحررة مثلهم، بحكم تربيتى فهم سئموا من دعوتى للخروج معهم، أو الانضمام إلى ما يقومون به من أنشطة وترتيبات عبر (جروبات) الواتس آب التى يتفقون من خلالها على الذهاب إلى الچيم (صالة الألعاب)، أو حضور جلسات اليوجا، أو حجز تذاكر الحفلات.

كنت أتظاهر أمام الجميع بأننى مستمتعة بحياتى، بل إننى فى بعض الأحيان كنت أحاول أن أجذب انتباههم وأثير غيرتهم باستعراض جدول أعمالى المكتظ بالاجتماعات والمسئوليات، إلا اننى واقعياً كنت أتمنى أن أعيش مثلهم، وكنت أشعر بالغيرة تجاههم، وأنا أشاهد الصور التى يشاركونها على (فيسبوك) و(انستجرام) أثناء الرحلات، والتعليقات التى يكتبونها و(اللايكات) التى يفرحون بها، قد تبدو تلك الأمور لا قيمة لها، لكنها تعنى الكثير لجيلنا.

أما إخوتى فقد كان لهم حظ أفضل منى، ونصيب لا بأس به من تلك الأمور، فكانت أختى شخصية اجتماعية، محبوبة، ورثت الشخصية القوية عن أمى، تستطيع بذكائها أن تفعل كل ما تريد دون أى مشكلة،

فكانت تشارك فى فريق التمثيل فى المدرسة، الذى كان يسافر إلى الخارج لعرض المسرحيات المدرسية.

أما أخى فكان عاشقا لكرة القدم، موهوباً، كابتن فريق المدرسة، وكان يسافر كل عام مع الفريق ليشارك فى بطولة الجونة، وتم اختياره أفضل لاعب فى تلك الدورة لعدة أعوام حتى انهالت عليه الجامعات بالخارج تعرض عليه الالتحاق بها والانضمام إلى الفريق الأول الخاص بها.

كنت أشعر بالظلم والقهر أحيانا؛ لأننى كنت مُطالبة بتحقيق أحلام الآخرين لا تحقيق أحلامى، لم يكن لدى الاختيار، وكنت أجلد نفسى؛ لأننى لم أستطع أن أدافع عن رغباتى المشروعة، فأنا أيضا كانت لى هواية مثل إخوتى، كنت موهوبة فى الرسم، أعشق الديكور، كنت أرغب فى دراسته، ولكن الأمر قوبل بالرفض؛ لأن الشركة تحتاج لمن يديرها، وأنا الابنة الكبرى التى يجب أن تقف بجانب أبيها وتسانده وتتعلم منه، فدرست إدارة الاعمال والاقتصاد، فوجدت نفسى غارقة فيما أنا فيه، لا أعلم كيف حدث ذلك، هل أنا من فرطت فى حقى، ولم أدافع عن رغباتى؟ أم هو القدر الذى سلبنى هذا الحق؟ وهل هناك من يجب أن

يضحى بأحلامه من أجل أن يحقق الآخرون أحلامهم؟!

كانت تمر على أوقات طويلة أصارع فيها نفسى، فأنا لست سعيدة، أشعر بوحدة قاتلة، أنظر إلى إخوتى فأجد التفاؤل والطاقة الإيجابية تظهر على وجوههم، وأنظر إلى نفسى فى المرآة، فلا أجد إلا سيدة عجوزاً مقهورة، لا يعرف الضحك طريقه إلى وجهها، متجمدة المشاعر، تراقب من حولها، وتبكى على حالها فى صمت.

تمر الأيام متشابهة مملة، ليس بها جديد، أحاول خلالها أن أتفادى الجلوس وحيدة والتفكير مع نفسى، فأنا ليس لدى أصدقاء مقربون أستطيع أن أتحدث إليهم عما أشعر به، إنهم جميعا يظنون أننى سعيدة، فأنا التى حاولت جاهدة أن أقنعهم بهذا، وأستمتع بتصدير هذه الصورة لهم، فيجب أن يستمر هذا الوضع، وتظل السعادة الوهمية متصدرة المشهد أمام الجميع.

كنت أقسم وقتى بين الدراسة والشركة، وقد ساعد عملى مع والدى على بناء علاقة قوية وثقة وتفاهم بيننا، وقد عوضتنى هذه العلاقة الوطيدة عن كل ما أفتقده فى علاقتى بأمى التى يسيطر عليها البرود،

وتعلوها الغيوم لأسباب مجهولة، وكذلك علاقاتى الاجتماعية بشكل عام، فانخرطت فى العمل أكثر فأكثر، وحققت نجاحاً ملحوظاً، اكتسبت من خلاله إعجاب الكبير والصغير بالمجموعة، خاصة (أنكل) حسين شريك والدى بحصة خمسة وعشرين بالمائة، والذى لم يكن يبخل على بأى معلومة، وكان يعتبرنى ابنته التى لم ينجبها، بعد فقدانه لزوجته وابنته الكبرى فى حادث سير، ولم يتبقَ له سوى ابنه أحمد المدير المالى للمجموعة الذى يكبرنى بثلاث سنوات.

بدأ أبى يسند إلى إدارة عدة أقسام بالشركة، وأصبحت لى صلاحيات جديدة، وبدأت أقنع نفسى بأننى أجد سعادتى فى العمل، إنما الحقيقة هى أننى اعتدت الوضع، وتأقلمت معه، حتى جاء اليوم الذى لم أتوقعه، والذى تغيرت بعده معالم حياتى، على الرغم من مرور أكثر من عامين إلا أننى مازلت أتذكر تفاصيله لحظة بلحظة، وكيف لا وأنا التى مررت بتجارب فى حياتى خلال تلك السنوات، ربما لا يحتمل إنسان أن يمر بها فى حياته، تخطيتها بمعجزة، فقد كانت كفيلة بأن تدمرنى وتقضى على حياتى بأكملها.

توقف القلم فى يدى، معلنا عن عدم قدرته على الاستمرار، وبدأت أشعر ببرودة ورعشة فى جسمى وألم فى صدرى و ظهرى مع كل نفس، فقد عاودتنى الأزمة مرة أخرى (البنك أتاك)، لم أستطع أن أستكمل الكتابة، واستسلمت للأزمة، وفتحت درج مكتبى أبحث عن هذا الشىء السحرى، ولكنى تراجعت، وآثرت التحمل، ورفضت السقوط، فأغمضت عينى حتى تهدأ أعصابى، ورجوت ربى أن تمر الأزمة بسلام.

الفصل الرابع

جاء موعد (الجروب)، وأنا لم أقدم على استكمال سطور ما بدأت بل لم أستطع، فأنا لا أستطيع أن أعيش مرة أخرى تلك المشاعر نفسها مع كل حرف أكتبه، وقررت أن أذهب وأسرد لهم ما حدث لى أثناء الكتابة، ربما أجد عندهم الحل.

حضر الجميع فى الموعد المحدد، وبعد تبادل التحية بدأت حياة الحديث قائلة:

- "اتفقنا فى اللقاء السابق أن كلاً منكم سوف يتحدث عن مشكلته، وسنناقش كل مشكلة على حدة، وسنقوم بكتابة المشكلة، ومشاركتها مع الآخرين.

ثم اتجهت إلى إحدى الحضور وقالت:

- نبدأ مع ريم، فى البداية أريد أن أعرف منك بعض الأمور:

هل كان هناك إحساس بالمقاومة أو الرفض لفكرة الكتابة؟

فأجابت ريم

- فى البداية كان هناك إحساس بالمقاومة، وكنت أشعر بثقل فى جسمى، ولكن بعد ذلك بدأت أشعر بارتياح أثناء الكتابة

توقفت ريم عن الحديث عندما شاهدت حياة تقوم بتسجيل بعض الملاحظات فى (النوتة) الخاصة بها، فأشارت إليها مبتسمة بأن تستمر فى الحديث.

استكملت ريم كلامها إن علاقتها بأختها الوحيدة سيئة منذ الطفولة، وإنها تشعر تجاه أختها بمشاعر سلبية، وإنها على يقين بأن أختها هى السبب الرئيسى لمعاناتها من الاضطراب السلوكى طبقا لتعريف (اللايف كوتش) المعالجة التى كانت تتردد عليها، فقد كانت الأخت حسب روايتها تمارس ضدها أسلوب الترهيب، وكانت تهددها بالإيذاء البدنى، إذا حكت لوالديها، وقد قصت علينا بعض المواقف التى تبدو للجميع بسيطة، إلا أنها كانت ترتعد وهى تصف شعورها الذى استرجعته، وأضافت ان (اللايف كوتش) المعالجة نصحتها بأن تدافع عن نفسها، ولا تسمح لأى شخص مهما كان بأن يرهبها، أو يضغط عليها، فما كان منها إلا أنها نهرت أختها، وبدأت فى زجر الجميع من حولها وتحولت لإنسانة عدوانية

تهاجم الجميع، فخسرت الأهل والأصدقاء والعمل، وكادت أن تفقد زوجها وتهدم بيتها، فأصابها نوع من الاكتئاب.

ثم استطردت قائلة: " قد تصفوننى بالاندفاع والتهور ولكنى كنت أعانى شعوراً بالضعف والقهر والظلم وحاولت أن أتخلص من تلك الأحاسيس السلبية، ولكن للأسف الأمور ازدادت سوءًا وتعقيداً.

انتظرت حياة حتى توقفت ريم عن الحديث ثم قالت:

أحب أن أنوه لشىء مهم، وهو أن ما سوف أقوله ليس موجهاً لريم فقط، بل هو موجه للجميع؛ لأننا نجتمع هنا ونعمل معاً حتى نحول حياتنا للأفضل، وتلك هى مسئوليتنا، وإنما ريم هى التجربة الحياتية الأولى التى نطبق عليها عملياً ما نتعلمه، وكل واحد منكم سيجد أن الوصول للحل الأمثل لمشكلة ريم سوف يساعده بطريقة غير مباشرة فى حل جزء كبير من مشكلاته مع الآخرين، وهكذا الأمر مع باقى التجارب التى سوف نتعرف عليها معاً.

فى البداية، أحب أن أشكرك يا ريم لكونك شعرت بالمسئولية نحو كيفيه إصلاح علاقتك بأختك فى المقام الأول، وعلاقتك بالآخرين فى المقام الثانى، وذلك

لأنك أدركت أنها مسئوليتك تجاه نفسك حتى تنعمى بحياة أهدأ وأسعد.

إن الوصول إلى التوازن فى العلاقات له شقان، الشق الأول هو التقبل والتوقف عن إلقاء اللوم على الشخص الآخر، وتحميله مسئولية أنه السبب فى كل شىء سئ حدث ويحدث لك، لأنه يجب علينا أن نعرف أن أى علاقة فى الدنيا هى عبارة عن طرفين وليس طرفاً واحداً، وتحتاج لمجهود من الطرفين حتى تنجح، ولا يمكن لها أن تنجح فى حالة أن أحد الأطراف يغلق قلبه تجاه الطرف الثانى.

الشق الثانى هو تقدير دوافع الطرف الآخر وظروفه؛ لأنه ببساطة إنسان مثلك، له مشاعر ودوافع تؤثر فى تصرفاته، قد لا يستطيع التحكم فيها، ولو كنت أنت مكان هذا الشخص تحديداً، فلن يكون منك إلا أنك تتصرف مثله.

وهناك جزئية هامة جداً يجب أن تعرفوها جيداً، هى أهميه الوصول لسلام نفسى فى العلاقة مع الأب والأم، سواء كانوا على قيد الحياة أو توفاهم الله، وسوف نخصص جلسة كاملة لمناقشة وشرح أهمية

هذه الجزئية، ومدى قوة تأثيرها على علاقاتنا مع الآخرين.

بعد أن انتهت حياة من شرح ما سبق، وجهت حديثها إلى ريم وقالت لها:

- الواضح من حديثك أن أختك كانت تعانى من صدمة نفسية عنيفة مرت بها فى مرحلة الطفولة، فقد كانت تحاول أن تعبر عما بداخلها من غضب من خلال محاولة ترهيبك، على الأغلب كانت تمارس ضدك ما تعانيه هى، ارجعى إليها، وتحدثى معها، وتحققى من الأمر بلطف، وبنية إصلاح ما بينكما من توتر، افتحى قلبك لها، وتخلى عن إلقاء اللوم عليها، وسوف يساعدك ذلك كثيراً للوصول إلى السلام النفسى الذى تنشدينه فى حياتك، وسوف نعاود الحديث فى هذه الجريئة المرة القادمة بإذن الله.

ثم نظرت داخل (الأچندة) الخاصة بها وهى تقول نريد أن نناقش تجربة أخرى، ثم التفتت إلى وقالت:

- نريد ان نستمع إلى نور.

فشعرت برهبة وارتباك، وزاغت عيناى بحثا عن مَخرج، فأدركتنى هى، وقالت:

- في بعض الأحيان نشعر أننا بحاجة لمزيد من الوقت كى نستطيع أن نتكلم، ونعبر عن انفسنا، ولكن دعينى أسألك: هل بدأت الكتابة؟
- فأجبت: نعم
- وكيف كان شعورك؟
- استرجعت نفس المشاعر الحزينة التى كنت أشعر بها من قبل.
- بنفس الحده؟
- وربما أشد، ولا أعلم هل سوف يكون بإمكانى استكمال ما بدأت أم لا.
- الأزمات التى لا تقضى علينا تقوينا يا نور، فمن الواضح أنك تعرضت لعديد من الأزمات والتى جعلت منك إنسانة قوية.
- هل أنا إنسانة قوية؟

- بالتأكيد، القوة ليست بالصوت العالى، إنما الصبر قوة، الصمود قوة، الاعتراف بالمشكلة قوة، الرغبة فى التعافى قوة، حضورك اليوم قوة، ولتعلمى يا نور أن ما تمرين به من شعور بالحزن الشديد هو مرحلة ستتخطينها.

- كيف أتخطاها؟

- عظيم جداً يا نور، سؤالك يدل على أنك بدأت التركيز على الحل وتخليتِ عن التركيز على المشاكل، فأصبح عندك استعداد للفهم، والاستفادة من التحليل والتطبيق العملى الذى نقوم به هنا.

نظرت إلى المجموعة وقالت: هناك قاعدة يجب أن نعرفها جيداً، هى أن الشخص المثقل بالأوجاع يحتاج إلى أن يتكلم ليخرج ما بداخله أولاً، وعندما يبدأ يسأل عن المساعدة، يكون بذلك أصبح مهيأً للاستماع إلى الحلول التى تقدمها أنت له، فلا تثقل عليه وتحدثه عن الحل قبل أن يطلب هو سماعة، بل تعطى له المساحة أولا، ثم تشعره بأنك مُدرك حجم ما يمر به و أنك دائماً موجود وقريب منه إذا احتاجك، دعه يشعر بأسلوبك الإيجابى فى التعامل مع التحديات دون مبالغة فى تعظيم ذاتك.

ثم عادت للحديث معى وقالت:

- محتاجين نعرف أن الحزن هو ألم نفسى شديد ينتج عن إحساس الإنسان بمشاعر الفقد.

الفقد قد يكون فقد عزيز، فقد الأمان، فقد الأمل، فقد الاهتمام، فقد الثقة بالنفس، وقد يكون فقداً لشخص كان يعطى لنا تلك المشاعر.

الرفض هو مصدر الطاقة السلبية الذى يسبب حالة الحزن والألم الذى نشعر بها، وعلى العكس تماما فالتقبل والرضا هما مصدر توليد الطاقة الإيجابية فى حياتنا.

الرضا يجب أن يكون حقيقياً وليس ظاهرياً.

ردد البعض عبارات تعجبية بمعنى كيف؟!

فابتسمت حياة كعادتها واستكملت حديثها وقالت:

- هناك فرق بين الرضا الحقيقى بمعنى اليقين بالوصول إلى الهدف، وبين الكبت الذى هو شعور مؤلم يصيب الإنسان بالأمراض تحت مسمى خاطئ بالصبر.

الرضا الحقيقى لا يصاحبه مشاعر سلبية مثل الكبت، الرضا هو شعور بالطمأنينة نابع من ثقتك بأنك قادر على تجاوز محنتك.

إذن للوصول لحالة الرضا علينا بالمفاتيح الآتية:

الإدراك، التقبل، العمل على التغيير

الإدراك هو أن ندرك أن ما نمر به من أزمات خلال حياتنا ما هى إلا اختبارات، فالأنبياء كانوا أكثر الناس ابتلاءً.

التقبل، أن نتقبل كل ما حدث وكل ما يحدث لنا.

العمل على التغيير يبدأ باليقين بأننا سوف ننجح ونتخطى هذه المرحلة، فبعد الظلام الحالك تشرق الشمس.

ثم التركيز على الوصول لهدفنا، والسعى لإخراج أنفسنا بأنفسنا؛ لأن السماء لا تمطر ذهباً، فعلينا أن نجتهد، ونعمل للحصول على التوازن النفسى، حتى تتبدل الأمور من حولنا، ونقترب من تحقيق أهدافنا.

ولننتبه للأبواب التى تفتح لنا، حتى لو كانت بسيطة فربما تكون هى البداية لما نصبو اليه، فإن أعظم الاختراعات بدأت بفكرة، وأطول الطرق يبدأ بخطوة، فعلينا أن نفكر بشكل إيجابى، ونبدأ مشوار التغيير برضا لنصل إلى العلا.

ولنعرف جيداً أن مع كل محنة منحة، فقد نبتلى لنكتشف فى أنفسنا قدرات لم نكن نعرفها، ولولا المحنة ما عرفناها.

هكذا أنهت حياة الجلسة اليوم، وطلبت منا الاستمرار فى الكتابة كوسيلة للحفاظ على التوازن النفسى من خلال إخراج الأفكار والمشاعر التى لا نستطيع التعبير عنها.

عدت إلى المنزل، وخلال الطريق كنت أفكر: هل أنا راضية حقا؟

وكيف أصل إلى الرضا الحقيقى؟

فتذكرت والدى، وتحليه بالرضا والصبر على المرض، ففاضت عيناى بالدموع، حقا كما قالت حياة إن الحزن إحساس بالفقد، فكم أنا أفتقدك يا أبى.

وإذا بصوت طرق على باب غرفتى، فمسحت دموعى، وسمحت للطارق بالدخول، إنها فاطمة مديرة المنزل تبلغنى أن الجميع فى غرفة الطعام ينتظروننى، فطلبت منها أن تعتذر لهم وتبلغهم بأنى فى حاجة لقسط من الراحة.

توجهت إلى مكتبى، وفتحت درجى، فوجت أمامى شيئين، وكان على الاختيار بينهما: الاچندة والقلم وهذا الشيء الآخر، فاخترت أچندتى وقلمى.

الفصل الخامس

السبت ٧ ابريل ٢٠١٨ كنت فى طريقى إلى المكتبة لإعداد مشروع لمادة الاقتصاد، فإذا بى أمر فى طريقى بعدة أكشاك مصنوعة من البلاستيك الخفيف، وبداخلها كراسى من القش، تضم مجموعات من الطلبة والطالبات يجلسون معاً بداخلها، إنها كل ما تبقى من معرض التوظيف الذى يقام كل عام، فمررت خلالهم، وإذا بنغمات أغنية أهواك للعندليب تـُعزف على الجيتار بحِرفية وإذا بالكلمات تـُنشد بصوت عذب جذبنى إليه ولمس قلبى، فاندهشت وقلت فى نفسى هل لايزال هناك معقدون مثلى يحبون أغانى الزمن الجميل؟! وتلك الأغنية بالذات التى هى من أكثر الأغانى المحببة إلى قلبى، ربما لأنه كان يغنيها ليعبر عن إحساسه الذى كان يكتمه ويقاومه داخل أعماق نفسه، ولا يستطيع أن يبوح به بالكلمات فعبر عنه بالنغمات.

أبطأت خطواتى لأُطيل فترة استماعى لأغنيتى المحببة وللصوت الذى بهرنى حتى وصلت إلى بوابة المكتبة وأخرجت كارنية الجامعة حتى تُفتح البوابة، وانقطع الصوت تماماً مع إغلاق الباب الزجاجى.

جلست على إحدى الطاولات المستديرة المجهزة بشاشات الكمبيوتر لأبدأ العمل، فإذا بى أشرد فى الأغنية واللحن، مما دفعنى للبحث عنها عبر تليفونى المحمول، فوضعت سماعاتى الهوائية وبدأت أسمعها بصوت العندليب.

مكثت بالمكتبة قرابة نصف الساعة وأنا شاردة الذهن، أفكر فى صاحب الصوت الساحر، وأسأل نفسى من هو؟ ولماذا لم أحاول أن أعرف شكله؟

ثم وجدتنى أحاول أن أبعد تلك الأفكار عنى، وأشجب نفسى، وأسألها لماذا تأخذ المسألة هذا الحجم؟ فالأمر برمته لا يستحق كل هذا التفكير.

وفى خِضم هذا الحوار الداخلى سمعت صوت صفارات بوابات المكتبة تشير إلى دخول مجموعة من الطلبة، وإذا بأحدهم يحمل فى يده آلة الجيتار فى حقيبة سوداء ومعه حقيبة (لاب توب)، فنظرت إليه دون أن يلاحظ، ثم نظرت حولى، فإذا بجميع الطاولات ممتلئة إلا طاولتى المستديرة التى أجلس عليها بمفردى، وهى تتسع لعدد ثلاثة أو أربعة آخرين، فتمنيت أن يشاركونى الطاولة، ووجدتهم ينظرون حولهم بحثاً عن مكان، ويتشاورون فيما بينهم، فخشيت أن يقرروا

الصعود إلى الأدوار العليا، تظاهرت بانشغالى عنه، أقصد عنهم، فليس من المعقول أن أنشغل بأمره بهذه السرعة، فأنا أجهله تماماً، لا أعرف حتى اسمه، وجدتهم يتجهون إلى الدرج، فشعرت بإحباط غير مبرر، سرعان ما تبدل عندما رأيته تأخر عن زملائه خطوة، وهو يمر بجانبى، ويختلس إلى النظر، وخُيل إلى أنه بدل وجهته عندما رآنى، ثم تأكد لى هذا الشعور عندما أبطأ الخطى عند طاولتى، فشعرت فى هذه اللحظة بشعور لم أعرفه من قبل، لا يمكن وصفه بالكلمات، و لا بأبيات الشعر، وإنما قد تعبر عنه نغمات أغانى العندليب، فى هذه اللحظة أيقنت أن القدر يرتب لنا أمراً ما، فكل شيء فى هذه الدنيا يحدث لسبب.

توقف، وأمسك بالكرسى المجاور لى، وأشار إلى أصحابه ليجلسوا، كانوا اثنين وهو ثالثهم، مرت لحظات كنت أتظاهر خلالها بالثبات وعدم الالتفات لما يدور حولى، بينما كانت ضربات قلبى تتسارع حتى خشيت أن يسمع صوتها، وإذا به يبدأ بالتحدث إلىَّ ويقول:

- هل بدأت مشروع الاقتصاد؟

نظرت له نظرة تحمل معانى وأسئلة عديدة، فهمها جيداً، وأجاب عنها الواحد تلو الآخر، فبهرنى ذكاؤه وشجاعته ودار بيننا الحوار الآتي:

- من المؤكد أنك هنا يوم الإجازة لإعداد مشروع الاقتصاد، وكذلك الحال معنا، أليس كذلك؟
- هذه حقيقة.

جاهدت نفسى حتى أستطيع ان أجيب بهاتين الكلمتين إذ إن الأمر لم يكن باليسير كما يبدو.

أما هو، فمن الواضح أنه كان يرغب فى استغلال الفرصة ليعرفنى بنفسهأ فأشار فى البداية إلى زملائه وقال:

- عمرو، مازن

ثم نظر إلىّ مبتسماً:

- أنا يوسف السكرى، چو، هكذا ينادوننى

فأجبت:

- نور المهدى

كانت تعبيرات وجهه تدل على أنه يعرف اسمى، وليس اسمى فحسب، بل يعرف عنى الكثير.

- هل بدأت العمل على المشروع؟
- لا، ليس بعد، فأنا أمل من هذه المادة بعض الشئ.
- ربما لأنك لا تحبينها بما يكفى.
- وهل تحبها أنت؟!

فأجاب مازن بطريقة فكاهية وقال:

- إنه لا يحبها فقط، بل هو متيم بها.

سادت حالة من الصمت، فشعر مازن بالحرج، فاستكمل حديثه ضاحكاً:

- الاقتصاد مادة مهمة جدا بلا شك

ثم أخذ بيد عمرو يجره وقال:

- سوف نذهب لإحضار القهوة من اروما هل تريدان أن نحضر لكما؟

ثم انصرفا معاً دون أن ينتظرا الرد، وكنت أفهم أنهما لن يعودا مجدداً، فقد أخذا معهما كل معلقاتهما، فشعرت بمجموعة من المشاعر المتضاربة، شعرت بفرحة وحرج ودهشة، فمن قرابة نصف ساعة كنت أفكر فى صاحب الصوت العذب، ولا أعرف حتى ملامح وجهه، وإذا به يجلس الآن بجانبى، كيف حدث كل هذا بهذه السرعة؟ وماذا سيحدث بعد ذلك؟ وهل

يقصد مازن أنه متيمٌ بي؟! أهذا معقول؟! وهل انصرفا عن قصد أم ان الأمر اختلط علىَّ؟! والسؤال الأهم كيف لم أره فى الجامعة من قبل؟!

لم يكن من عادتى الذهاب إلى الجامعة يوم السبت، فهو يوم عطلتى الأسبوعية، بل كان من المفترض أن أكون بالشركة أحضر اجتماعا مهماً، ولكنه تأجل بسبب وعكة صحية خفيفة أصابت المدير المالى للمجموعة أحمد ابن شريك والدى (أنكل) حسين أو عمى حسين كما اعتدنا أن نقول له.

يا لسخرية القدر، كان ينبغى أن أكون فى هذا اليوم جالسة على طاولة الاجتماعات، وبجانبى يجلس أحمد، لكنى الآن أجلس وبجانبى شخص آخر بدل حياتى رأسا على عقب، فهل لو لم يمرض أحمد كنت سأقابله؟!

قطع يوسف حبل أفكارى، وبدأ يتكلم، فبدأت أشعر بسكينة وهدوء، مر الوقت دون أن نشعر به، ولم نتوقف عن الحديث معاً حتى جاء إلينا من ينبهنا أن الساعة قاربت على التاسعة والنصف مساءً، إنه الموعد المحدد لإغلاق المكتبة، قمنا بجمع معلقاتنا وخرجنا إلى الساحة التى كانت شبه خاوية، فقد كان

الجو مائلاً إلى البرودة، وأخذنا طريق الخروج مرورا بمبنى الجميل متجهين إلى ساحة انتظار السيارات، وكل منا يبحث عن سبب حتى لا نترك بعضنا بعضا، فإذا بيوسف يسألني

- هل تشعرين بالجوع مثلى؟

ثم يجيب عنى دون أن ينتظر الرد ويقول:

- هيا بنا إلى (اسبرسو لاب .. بوينت نينتى) لنتناول العشاء، ونشرب شاى لاتيه، إنه لذيذ ولا يسبب الأرق، فأنا من عشاق القهوة مثلك لكن الوقت الآن متأخر.

استوقفتنى كلمة مثلك فسألته

- كيف عرفت اننى من عشاق القهوة؟!

فأجاب مبتسماً بلباقته المعهودة:

- يبدو عليك ذلك.

استكملنا الطريق، إلى أن وصلنا إلى سيارتى السى كلاس، فانتظرنى حتى ركبت السيارة، واتجه إلى سيارته الكيا سيراتو، وخرجنا من بوابة الجامعة رقم ٤ ، أو كما يطلقون عليها بوابة ببسى، متجهين إلى

جراچ (بوينت ناينتى) ثم إلى الطابق الثانى، حيث محل اسبرسو لاب

توجهت معه لأختار وجبة عشاء خفيفة، والشاى الذى رشحه لى، ثم هممت لدفع حساب طلباتى، فإذا به يبتسم ويقول:

- وأنت معى، لا تشغلى بالك بتلك الأشياء البسيطة.

فقلت له فى دهشه

- كيف هذا؟!

فأجاب:

- أنا قلت لك توا إنها أشياء بسيطة لا تستحق الحديث عنها

فعدت إلى الطاولة التى نجلس عليها أنتظره كما طلب منى، وبدأت أسأل نفسى ما هذا الذى يحدث لى؟ إنها المرة الأولى فى حياتى التى أشعر فيها بكل هذا الاهتمام، فقد كان يحوطنى بكل أنواع الاعتناء، فأنا دائما كنت مسئولة عن نفسى، وعن الآخرين، كذلك عودنى والدى، فإذا بى أنتفض فى مكانى، بعدما تذكرت والدى، كيف نسيت أنه ينتظرنى كعادته كل يوم لنتناول وجبة العشاء معاً؟

شعر يوسف بى وهو يضع الطعام على الطاولة وسألني:

- ماذا بك؟!

فأخبرته بأن والدى ينتظرنى على العشاء

- اتصلى به وأبلغيه أنك لن تتأخرى

مرت لحظات، ثم رن هاتفه المحمول، وإذا به يرد:

- ياسو، حبيبتى إننى كنت أتحدث لتوى عنك مع أحد أصدقائى، أخبرى سوسو أننى لن أتأخر.

ثم توجه إلى وقال:

- إنها ياسمين أختى الصغرى التى كنت أحدثك عنها فى المكتبة، أما سوسو فهى والدتى يسرية.

ابتسمت، ونظرت فى ساعتى، فسألنى: هل مللتِ؟

-بالعكس.

-هل تعلمين يا نور أن اليوم يعد من أسعد أيام حياتى؟

لم أستطع أن أجيب بكلمة واحدة، فاستكمل كلامه:

- لكن دائما الأوقات الجميلة تمر بسرعة.

افترقنا مؤقتاً واتفقنا على لقاء فى اليوم التالى لنبدأ العمل فى مشروع الاقتصاد.

الفصل السادس

سلكت طريقى إلى (الكمباوند) الذى أسكن به بالتسعين الشمالى، بينما اتجه يوسف إلى المعادى، وأثناء القيادة استرجعت كل ما قاله يوسف عن نفسه:

إنه يوسف مصطفى السكرى، شاب متوسط الطول، قوى البنيان، ذو ملامح مريحة، طالب متفوق فى إحدى الكليات الخاصة، كان حلمة الالتحاق بالجامعة الأمريكية، ولولا مصروفاتها المرتفعة لكنا تقابلنا منذ عامين، إلا أنه خلال هذه الفترة وضع نصب عينيه هدفاً، واستطاع الوصول إليه - فهذا هو يوسف - حصل على تقديرات عالية، أهلته لأن يدخل هذا الصرح التعليمى، الذى يعد حِكرا على الأثرياء فقط، بمصروفات مدعمة، فى استطاعة أسرته التى فقدت العائل منذ فترة، الدكتور مصطفى زوج الدكتورة يسرية اللذين كانا يعملان معاً فى أحد المستشفيات الخاصة، وينعمان بحياة مستقرة هادئه مع الابن الكبير چو، والابنة الصغرى ياسو أو ياسمين.

لم يكن هذا ما يشغل تفكيرى، بل كنت أفكر فى يوسف، هذا الشاب المجتهد الطموح الذى يضع لنفسه أهدافاً ليحققها، الاجتماعى المحبوب، فهو يحسن

اختيار أصدقائه ليتعاونوا معه طواعية، فقد استطاع أن يبنى صداقات داخل الجامعة، ولايزال على صلة بأصدقائه القدامى من جامعته السابقة ، وهم الأقرب إلى قلبه كذلك قال لى، الكريم الذى أصر على دفع حسابى، فى حين أننى كنت دائما أقع فريسة لطمع العديد من أبناء وبنات الطبقة الراقية ممن يستحلون طلب المال مع وعود زائفة بالرد، المتوازن الذى يحب عائلته، ويشعر تجاههم بالمسئوليه، فلا يجد غضاضة فى نفسه أن تشاركه أخته السيارة التى اشتراها حديثاً بعد طول انتظار، بعدما حصل على ما يخصه من ميراث والده عندما أتم السن القانونية.

إن حياته تختلف عن حياتى تماماً، فأنا لم أعبأ يوماً بثمن سيارتى، بل كنت أعبأ بالماركة واللون والإمكانيات، أما عن الأصدقاء، فحدث ولا حرج، إنهم لا يكترثون بى، بل يستغلوننى فى أغلب الأحيان، وأخيراً كان على أن أضع طموحاتى جانباً عندما حكمت على الأقدار أن أحقق توقعات العائلة وطموحاتها.

فتُحت بوابة (الكمباوند) عندما اقتربت بسيارتى، وها هى كاميرات سور الڤيلا تلتقط صوراً حتى أستطيع أن أمر إلى الداخل، تمت العملية بنجاح، يبقى أمامى

الباب الرئيسى الذى يتعرف علىّ ببصمة اليد ليمنحنى شرف الدخول.

كان أبى فى غرفة المكتب يطالع بعض العقود، فأسرعت إليه، فهو الأقرب إلىَّ داخل هذا الحصن المنيع، وهو من حاول دوماً أن يحررنى من تعنت أمى عندما كنت أريد دراسة الديكور، وتارة أخرى حين حاولت صقل موهبتى فى الرسم، وكنت أرغب فى السفر أثناء العطلة الصيفية للمشاركة فى ورشه لتعْليم الرسم فى فرنسا، إلا أننى فى كل مرة كنت أقصر الشر، وأتنازل بإرادتى عن تلك الرغبات حتى لا أحمل أبى ما لا يطيق، فيكفيه ما يعانيه من أمراض تتطلب البعد عن الانفعالات، فأنا أم أبيها كما يردد دائما (أنكل) حسين.

ـأهلا نور عينى

هكذا كان أبى الحبيب ينادينى دائماً.

ـأعتذر عن التأخير، وسوف أبلغ هدى أن تعد العشاء.

كان عشاء والدى بسيطاً كطبعه، فهو إنسان عفوى متواضع قوى الشخصية، رغم لين طبعة.

جلسنا معاً بغرفة مكتبه أثناء تناوله وجبته الخفيفة، بينما لم أستطع أنا سوى احتساء كوب عصير برتقال،

فقد كنت لتوى أتناول الطعام مع چو الذى هبط علىّ من السماء كالنيزك دون سابق إنذار.

تبادلنا أطراف الحديث بمفردنا كعادتنا كل يوم، فوالدتى لا تغير النظام اليومى الخاص بها من أجل أحد، كذلك إخوتى الصغار دائما لديهم أصدقاء يجلسون معهم بالغرفة الخاصة بهم، مما جعلنى كل ليلة أجالس ابى لأشعر بأبوته التى كانت فى البيت فقط، فهو فى الشركة صاحب عمل له هيبته، أما الآن فهو أبى الحنون، الذى يشتكى مَرار إهمال زوجته له فى صمت، حالنا واحد، ولا نجد سبيلاً غير أن نهون على أنفسنا فنحن الاثنان غرباء فى هذا المكان، ولكن من الواضح أنه بدا علىّ شيء من التغيير لم أستطيع أن أخفيه عن أبى الذى لاحظ شرودى عندما استقبلت رسائل عبر الواتس آب.

استقل أبى المصعد الداخلى بصحبة محمود المرافق إلى الجناح الذى خصص له بعد إصابته بالجلطة الدماغية التى أثرت عليه فى الحركة، ودخلت أنا غرفتى لاستكمل الرد على يوسف الذى ذكرنى بحقيقة عمرى، ومنحنى مشاعر البنت العشرينية التى تبدأ علاقة جديدة.

تقابلنا فى اليوم التالى، وتوالت مقابلاتنا، وتوطدت العلاقة بيننا بشكل سريع، وقد احتوانى يوسف بكل معنى الكلمة، واستطاع أن يملأ الفراغ الذى كنت أعانيه، ليس هذا فحسب، بل أصبحت أخيراً أنتمى لمجموعة من الأصدقاء، تعرفت عليهم من خلال يوسف، هم أصدقاؤه من كليته السابقة، يشبهونه فى كل شىء، وجدت فيهم ما افتقدته فى المحيطين بى ممن يسمون بالأصدقاء.

الثلاثاء ٢٤ أبريل ٢٠١٨ كان يوم مناقشة مشروع الاقتصاد، الذى لولا مساعدة يوسف ما كنت لأجتازه بهذه السهولة، وفى المساء كنا نحضر مباراة لكرة السلة داخل حرم الجامعة بالصالة المغطاة، وفى تمام الساعة الثامنة هطلت الأمطار، وازدادت حدتها حتى أن الماء بدأ يتساقط من خلال سقف الملعب، فاضطر الحكام لإلغاء اللقاء، وسادت حالة من الفزع والرعب عند انقطاع الكهرباء، فإذا بيوسف يتألق كعادته فى إدارة المواقف، فقد أصر على مرافقتى، بينما كانت حالة المرور خارج بوابة ٤ مروعة، الطريق مغلق تماماً وتبادل السائقون أنباء عن تعطل العديد من السيارات عند مول(بوينت ناينتي)، ولم يكن هناك سبيل سوى عبور الجزيرة الوسطى، والسير فى

الطريق العكسى، لم يكن الوضع باليسير، كنت أشعر بالتوتر، فتولى عنى القيادة، وبهدوء وثبات تمكن من الخروج بنا من هذا المأزق، ورافقنى حتى بوابة (الكمباوند)، ومن خلفنا مازن وعمرو يقودان سيارته.

كان أبى ينتظرنى فى قلق بعد عدة اتصالات أجراها معى، ليسمع منى لأول مرة اسم يوسف، فبات واثقا أن هناك ضيفاً جديداً قد دخل حياتى، ولاسيما أننى أصبحت أخرج كل ليلة على غير عادتى، وأتأخر عن موعد العشاء الذى كنت غالباً لا أتناول منه إلا رشفات قليلة من العصير.

تمر الأيام، وتتجدد اللقاءات، ويزداد تعلقى بيوسف الذى لم يصارحنى بحقيقة مشاعره، وإنما كان يكتفى بالغزل العفيف، متمثلا فى العزف على الجيتار، والغناء للعندليب، والنظرات الفياضة، مما كان يثير حفيظتى، كنت أشعر أن هناك شيئاً ما يمنعه، وكنت أسأل نفسى دائماً: ماذا ينتظر؟!

تحيرت من أمره كثيراً، وكدت أواجهه، إلا أن شجاعتى كانت تخوننى فى كل مرة.

الفصل السابع

تجدد اللقاء الأسبوعى مع مجموعة العلاج، وحضرنا جميعاً فى الموعد المحدد، حيث بدأت حياة الجلسة بشكل مختلف، بشرح أهمية تمارين الاسترخاء.

سأل أحد الحضور بصوت غص بالبكاء: هل حزنى على فقدان ابنى يعنى عدم الرضا؟

- أبداً، إن الحزن شعور إنسانى طبيعى لا يتعارض مع الرضا (هكذا أجابت حياة)

فاستكمل المتحدث، وهو رجل فى العقد الخامس تناديه حياة بأستاذ نبيل، كلامه بنبرة غلب عليها الندم قائلا:

- لقد انفصلت عن زوجتى ودفع أحد أبنائى ضريبة عنادى مع والدته التى كنت أظنها تبالغ فى شكواها من سوء تصرفاته واحتياجه لى، رغبةً منها فى إقصائى عن الزواج بأخرى، حتى أفقت على خبر وفاته مخموراً فى حادث سيارة..

لم يتمالك الرجل نفسه وبدأ يبكى ويردد: ضيعت ابنى بغرورى وإهمالى له.

تأثر الجميع لحالة الرجل، فما أصعب الإحساس بالندم وما أقسى دموع الرجال**!**

انتظرت حياة حتى هدأ الرجل وتمالك نفسه وقالت:

- بعد الصدمات القوية يمر الإنسان بعدة مراحل حتى يتعافى، منها ما هو إجابى ومنها ما هو سلبى، وأنا أرى أنك رغم ما تتجرعه من حزن، أنك فى مرحلة التعافى الإيجابى؛ لكونك بدأت مرحلة التنفيس العاطفى، وهى مرحلة صحية لإخراج الطاقة السلبية حتى تستطيع أن تصل إلى مرحلة التقبل ثم التعايش والسيطرة على الألم والحزن، فضلا عن عدم إلقائك اللوم على أم أولادك، والمواجهة والاعتراف بأخطائك.

- ولكنى أعانى معاناة لا يتحملها بشر..

(كذلك أجاب الرجل)

فأجابت حياة: وهل هذا سيعيد إليك ابنك أو سينفعه بشيء؟

هز الرجل رأسه معبراً عن عجزه وإدراكه عدم جدوى ما يفعله بنفسه.

استكملت حياة حديثها قائلة: لا أحد يلومك على حزنك، ولكن حان الأوان لأن تأخذ خطوات حتى تستطيع أن تتقبل وتسيطر على الحزن؛ لأن حياتك لم تنته بعد،

وما دامت مستمرة، فلا يزال لك دور فيها، وأولادك الآخرون يحتاجون إليك، وكذلك ابنك الذى فقدته يحتاج أن تتصدق عنه، وأن تتودد لمن كان يحبهم، أعنى إخوته وأمه.

فرد الرجل قائلا:

- لا أستطيع أن أواجهم.
- لماذا؟
- لن يتقبلوني
- هل حاولت؟
- أخشى أن يرفضوني.
- إذا حدث ذلك فاعلم أنهم لا يزالون يحتاجون لتفريغ شحنة الحزن والغضب بداخلهم، ولكنهم يحتاجون إليك بقدر احتياجك إليهم، فأعط لهم تلك المساحة ثم عاود المحاولة مرة أخرى، ولا تيأس، وتأكد أنه سيأتى يوم تجنى فيه ثمار سعيك.

بدا على وجه أستاذ نبيل استعداده للمحاولة، وهكذا توقف الحديث معه، فشرد ذهنى قليلا فى مشاعر الحزن التى تنبع دائماً من الفقد، و أحيانا من الندم على التفريط والتخلى، فهل يتجرع يوسف آلام الإحساس بالندم؟!!

- فيما تفكرين يا نور؟
- كنت أفكر فى الندم.
- وهل تشعرين بالندم أم تتمنين لشخص آخر أن يشعر به؟

فاندهشت لسؤال حياة وابتسمت على استحياء

- ألا تحبين أن تشاركى تجربتك معنا كى نساعدك ونستفيد منها؟
- أفضل أن أنهى كتابتها أولا
- ومتى ستنتهين منها؟
- قريباً، فإن سماعى لتجارب الآخرين هنا يساعدنى على إتمام مرحلة الكتابة.
- أنا سعيدة لسماع هذا الكلام، ومتشوقة لمشاركتك التجربة التى مررت بها لمساعدتك والاستفادة منها..

ثم توجهت إلى ريم وقالت:

- تلقيت منك رسالة فهمت من خلالها أنك توصلت إلى نتيجة مرضية مع أختك.
- نعم
- إذن أشركينا فيما حدث بينكما.

بدأت الفتاه تروى ما حدث بينها وبين أختها، فقالت إنها بدأت حوارها معها بالتعبير لها عن رغبتها فى إصلاح علاقتهما وأنها تشعر فى قرارة نفسها بحبها واحتياجها إليها، ويصارعها فى الوقت نفسه إحساس مضاد، ألا وهو الغضب، وطلبت منها مساعدتها للتخلص من هذا الشعور السلبى لترميم العلاقة، فما كان من الأخت الكبرى إلا أنها بدأت تروى لها ما مرت به من معاناة خلال مرحلة الطفولة، عندما كانت تستيقظ على صراخ أبويها كل ليلة، وفى إحدى المرات شاهدت الأب وقد فقد صوابه، ولم يستطع أن يسيطر على أعصابه وقام بضرب الأم بعنف حتى أنها تألمت كثيراً وصرخت من الألم، ولم يتركها إلا بعدما سمع نحيب ابنته الكبرى وهى ترتجف خوفاً، وقد ابتلت ملابسها بعدما فقدت السيطرة على نفسها، ومنذ ذلك الحين بدأت تعانى من التبول اللا إرادى وكانت تتعرض لسخرية الآخرين، وتشعر بالغيرة تجاه أختها الصغرى؛ مما دفعها أن تتصرف معها بعنف غير مبرر وتقول إنها كانت بحاجة لعلاج نفسى، إلا أن الظروف لم تمنحها هذه الفرصة.

وقفت حياة عند هذه الواقعة وقالت:

- نحن أحياناً نتحمل معاناة الآخرين.

فسألتها ريم: وما الذنب الذى اقترفناه كى نتحمل معاناتهم؟!

فأجابت حياة: وما ذنب الآخرين الذين نحملهم معاناتنا؟!

ثم استطردت كلامها وقالت: كل ذلك يحدث على مستوى العقل الباطن دون أن نشعر، وتستمر الأمور على هذا النمط حتى نقرر أن نتعافى ونسعى إلى الوصول للسلام النفسى مع أنفسنا ومع الآخرين، وإننا علينا دائماً أن نبدأ بأنفسنا وسنلاحظ تحسن العلاقات مع كل من حولنا.

الفصل الثامن

اختلفت تلك الجلسة مع حياة والمجموعة عن سواها، فقد بدأ الحضور يفصحون عما بداخلهم من أوجاع الواحد تلو الآخر دون خجل أو تردد، يتجرعون آلام الحديث عن معاناتهم سعياً للتعافى، مما زاد من حماسى لاستكمال ما بدأته والحديث عن تجربتى، فما كان منى إلا أننى عاودت الكتابة وجددت نواياى، فأنا أريد أن أنعم بحياة سعيدة دون ألم، وبدأت أتذكر ما حدث خلال الأسابيع الأخيرة للعام الدراسى النهائى فى الجامعة، واستأنفت الكتابة من جديد.

كانت الأمور بيننا تسير على نفس المنوال الضبابى الغامض حتى كاد عامنا الدراسى أن ينقضى، إلى أن دعانى يوماً للغداء فى منزل الأسرة بالمعادى.

إنه شارع ١٩٩ بمنطقة دجلة، يتكون من اتجاهين تصطف المبانى السكنية على جانبيه، يصعب فيه أن تجد مكاناً لسيارتك إلا عن طريق حراس العقارات، يعرف معظم قاطنيه بعضهم بعضاً مما يشعرك بنوع من الألفة.

كنت متوترة بعض الشئ إلا أن استقبال والدته وأخته هدأ من روعى، وازداد هدوئى عندما دخلت وشاهدت

النظام والترتيب فى أرجاء المكان .. إنها شقة تتكون من ثلاث غرف نوم، وصالة معيشة، ومنطقة استقبال، ومطبخ مفتوح صُمم على الطراز الأمريكى، تقف فيه دكتورة يسرية أو سوسو كما يناديها چو، إنها سيدة فى العقد الخامس، إذا أزحنا علامات السنين عنها نجدها تحتفظ بقسط من الجمال، عندما تراها للوهلة الأولى تُشعرك بأنها تعرفك منذ زمن بعيد، ترغمك على حبها من النظرة الأولى، تساعدها فى شئون المنزل سيدة أربعينية، يعتبرونها واحدة من الأسرة، أما ياسمين أو سو، فهى فتاة رائعة طموحة، تسعى للحصول على أعلى الدرجات فى جامعتها، وهى جامعة چو سابقاً "إم آى يو" لتلتحق بالجامعة الأمريكية، فهى تعتبر چو مثلها الأعلى، تشبه أمها فى شبابها كما بدا لى من الصور الموضوعة على (الباهية) فى مدخل الشقة، جميع أفراد العائلة بينهم تناغم، المكان يضج بالطاقة الإيجابية، الضحكات لا تفارق وجوههم، يفهمون بعضهم البعض بالنظرات، مترابطون فيما بينهم بشكل لم أعهده، فنحن داخل القلعة التى نعيش فيها منقسمين، أنا ووالدى فى جهة، وأمى وإخوتى الصغار فى جهة أخرى.

أعدت الأم مائدة الطعام ودعتنى للجلوس، كانت المائدة مليئة بعدة أصناف شهية، تبادلنا أحاديث عدة وضحكنا من أعماق قلوبنا حتى شعرت بأجواء أسرية أفتقد دفأها، بينما قامت سوسو بصحبة سو إلى المطبخ لإعداد الشاى والكيك الذى تشتهر به ويعشقه أصدقاء چو وسو..

خرجت أنا وچو إلى الشرفة المطلة على الشارع لانتظارهم، وإذا به وبدون سابق إنذار يفاجئنى ويقول:

- أُحبك يا نور بكل معنى الكلمة.. أحبك منذ اللحظة التى وقعت فيها عيناى عليك .. أحببت فيكِ كل شيء، عينيك العسليتين، شعرك البنى الناعم، بشرتك الخمرية، جمالك الهادئ، شخصيتك الجادة، وقارك، اختلافك عن الأخريات.

أعلم أننى أتطلع إلى نجمة فى السماء، لكن حبك قدرى الذى طالما حاولت الفرار منه وفشلت، شاهدتك للمرة الأولى منذ يومى الأول فى الجامعة، كنت كعادتك منهمكة فى الحديث عبر هاتفك المحمول، فاصطدمت بى فسقط الهاتف، تناولته وأعطيته لك، استكملت طريقك، بينما ظللت أنا أنظر إليك حتى غَربت صورتك عن عينىَّ ليشرق حبك فى قلبى.

لم أكن اتخيل أننى سأحب فتاه من النظرة الأولى، لكن هذا ما حدث.

فأجبته وكل ذرة من ذرات جسمى ترتجف:

- هل كان الأمر يحتاج لكل هذا الوقت حتى أسمعها منك؟

- نعم يا نور، كنت أخشى أن أبوح لك بحبى فينتهى كل شىء

- لماذا تقول هذا؟!

- لأننا نعيش على أرض الواقع، والواقع له قوانين يجب أن تُحترم

- وما الذى دفعك أن تقول لى هذا الكلام الآن؟!

- لأنه لم يتبقَ سوى أسابيع على تخرجنا من الجامعة، فكان يتعين على أن أخطط لمستقبل علاقتى بك.

- إذن أنت لديك تصور لشكل العلاقة.

- نعم، طيلة الفترة الماضية، وأنا أراسل جامعات بالولايات المتحدة للعمل بها، ودراسة الماچستير حتى حصلت على العرض الذى كنت أنتظره، فبمجرد تخرجى أستطيع أن أسافر، وأتمنى أن تكونى معى، نتزوج ونسافر معاً ويمكنك دراسة الرسم الذى تحبينه.

كان وقع حديثة علىَّ أشبه بالصاعقة، فأنا التى طالما انتظرت هذه اللحظة، وعشت تفاصيلها فى أحلامى، وتخيلت أنها سوف تتعدى مشاهد الأفلام رومانسية، تمنيت أن يعود بى الزمن إلى الوراء، وتتوقف عقارب الساعة، لأظل أعيش لذة مشاعر الانتظار.

استمر يوسف فى الحديث، كنت أشاهد حركة شفتيه ولا أسمع شيئاً مما يقول، فذهنى كان شارداً حتى قررت أن أقاطعه:

- لماذا لم تحدثنى عن هذه الخطة من قبل؟

لماذا تعاملنى على اننى لوحة فنية فى معرض، أهكذا ظنك بى؟

- لا تسيئى الظن بى، كنت أريد أن أكون جديراً بك، فلم أجد سبيلا آخر، أنا لا أملك إلا طموحى كى أقدمه لكِ يا نور، ثم إننى لا أفرض عليك شيئاً، لكِ مطلق الحرية فى القبول أو الرفض.

- أهكذا بهذه البساطة؟ أنت تعرف جيداً ظروف والدى الصحية، واعتماده علىَّ فى إدارة المجموعة.

- وكذلك أنت تعرفين أن أمى وأختى ليس لديهما من تعتمدان عليه غيرى.

- كيف تأخذ قراراً مصيرياً يخصنا معاً دون التنسيق معى؟

- إن حبى لك هو الذى دفعنى لذلك؛ فأنا الذى يجب أن يدبر الأمر ويخطط للمستقبل.

- إنك تخطط لمستقبلك أنت، لا لمستقبلنا.

- أعطى نفسك فرصة للتفكير بهدوء، وللحديث بقية.

"الشاى جاهز" هكذا قطعت سو حديثنا، ودعتنى لاحتساء الشاى فتوقف الحوار فعلياً بيننا، لكنه استمر يدور فى ذهنى، حتى انتهى اللقاء، وانطوى طريق العودة دون أن أشعر به.

الفصل التاسع

عدت إلى البيت حزينة مهمومة ضيقة الصدر، دعوت ربى أن يخرجنى مما أصابنى حتى أستطيع أن أفكر بشكل أفضل، اعتذرت عن مشاركة أبى العشاء بحجة الإرهاق، وهرعت إلى غرفتى بحثاً عن النوم، ولكن هيهات، فقد ظللت أفكر فيما قاله يوسف وأسأل نفسى لماذا كل هذا الغضب؟! وما الذى كان ينبغى عليه أن يفعله خلاف ذلك؟! وإذا كان ما خطط إليه غير مناسب فما هو التخطيط الأفضل؟!

هكذا ظلت الأفكار تراودنى، حتى هاتفنى فى الصباح الباكر، فعلمت منه أن ليلته لم تختلف عن ليلتى كثيراً، فقد ظل يفكر هو الآخر، وكلانا جافاه النوم، فاتفقنا على إرجاء التفكير فى الأمر حتى انتهاء الامتحانات.

لم أستطيع أن أفعل ما طلبه منى يوسف، بل قررت ان أتحدث فى الأمر إلى والدى، الذى كان يلاحظ من البداية أن هناك تغييراً قد طرأ علىَّ، ولطالما انتظر منى أن أحدثه فى هذا الشأن، ولكن لم يكن هناك ما أقوله، فيوسف لم يصارحنى إلا من ساعات، كان ينبغى أن انتظر وقت العشاء حتى أتحدث إليه، لكنى لم

أستطع الانتظار، كان هناك شيء يدفعنى للحديث بسرعة.

استقليت سيارتى حتى وصلت إلى الشركة لأجد أبى فى اجتماع مغلق مع عمى حسين، وأحمد هكذا أخبرتنى مديرة مكتب والدى، لم أتوقف فى البداية عند هذا الأمر الذى بدا غريباً علىّ بعض الشئ، فقد كانت لدىَّ من الاهتمامات ما يُقصينى عن التفكير فى سواها، إلا أن الأمر ازداد غرابة عندما استأذنت للدخول لتتحول إلىَّ نظراتهم بشكل لافت، وتعلو أصوات ضحكاتهم، ويتوقفون عند الحديث وأرمق نظرة غريبة فى عين أحمد لم أعهدها من قبل.

نظر إلىّ أبى منتظراً منى أن أخبره بسبب وجودى بالشركة وقت الامتحانات النهائية، إلا أننى اختلقتُ أسباباً أخرى بعدما خانتنى شجاعتى أن أتكلم، كنت مرتبكة، مشوشة التفكير، خشيت من رد فعله فقررت التروى والانتظار.

مرت عدة أيام متتالية لاحظت خلالها حوارات جانبية بين والدى ووالدتى على غير العادة، كنت أدخل غرفة المكتب بالمنزل فأجدهما يتبادلان أحاديث هامسه فيما بينهما، إنه مشهد لم أعتده من قبل، لطالما كنت أتمناه

طيلة حياتى، أن أشعر أنهما على وفاق، ولا يشوب علاقتهما هذا الفتور، كنت أشعر أن حياتهما الزوجية أشبه بالمسرحية التى يلعب أبطالها دور الأسرة المترابطة أثناء العرض للجمهور فقط، وبمجرد نزول الستار يذهب كل منهم فى طريقه.

لم أكن أعلم ما تخفيه عنى الأيام، ولكنى كنت أشعر بخوف من شيء مجهول، ولا أعلم هل أنا من أبحث عن القلق أم أن القلق هو الذى يبحث عنى.

انتهت فترة الامتحانات، ومع آخر يوم لنا فى الجامعة شعرت بنفس الشعور، الذى انتابنى عند انقضاء الفصل الدراسى الأخير فى المدرسة، إنها مشاعر مختلطة ومتضاربة، شعور بفرحة انتهاء أعباء الدراسة والاستيقاظ مبكراً، والتخلص من الضغط العصبى، والواجبات، والامتحانات، والقلق على التقديرات، وأيضاً إحساس بالحنين إلى أجمل أيام العمر المنقضية، وإحساس بالتعلق بالمكان والخوف من البعد عنه، أما الفرق هنا، فهو شعورى بالخوف من المواجهة التى أصبحت وشيكة وحتمية، والسؤال الأهم، هل هذه المرة سوف أستطيع أن أدافع عن أحلامى التى طالما تصطدم بأحلام العائلة، وكيف ستكون ردود أفعالهم؟

كنت أفكر فى تلك الأمور وأنا أسير إلى جانب يوسف، الذى ربما كان يفكر فيما أنا شاردة فيه، حتى مررنا على المكان الذى سمعت فيه صوت يوسف وهو يغنى أول مرة، ومرت علىَّ ذكرى أول لقاء لنا حتى هدأت ثورة المشاعر الثائرة بداخلى لتستقر على شعور واحد، هو أننى أحب يوسف من كل قلبى ولا أستطيع أن أبتعد عنه، فتوقفت، والتفت إليه وكسرت جمود الصمت وقلت له:

- أحبك يا يوسف.
- هل حقا ما سمعته؟!

فاستطردت:

- هنا فى هذا المكان، أحببتك قبل أن أراك وأنت تغنى أهواك لعبد الحليم، حتى أبصرتك أمام عينى.

ظل يوسف ينظر إلىّ فى صمت ثم همس لى:

- هل ستصدقيننى لو قلت لك إننى كنت أغنى لك؟
- سأقف أمام الدنيا لنظل معاً
- وأنا أعدك أننى لن أخذلك أبدا

هكذا تعاهدنا ورسمنا أولى خطوات طريقنا معاً، وأصبح هذا العهد ينبض فى قلبى مع كل دقة من دقاته.

الفصل العاشر

استيقظت فى اليوم التالى بعد نوم عميق لم أنعم به منذ فتره طويلة، كنت خلالها أعانى ضغط الاستذكار وقلق الامتحانات، بينما كان عقلى الباطن يتصارع بداخله صوت العقل ومشاعر القلب حتى وجدتنى أطلق العنان - لأول مرة - للقلب الذى اعتدت دائماً أن أحجمه وأنصر عليه منطق العقل، لتنطلق الكلمات الحبيسة فى صدرى معلنةً عن مشاعر الحب ليوسف، وتحرر العصفور الحبيس من القفص الذهبى، ليُحلق فى السماء غير مبالٍ بما سوف يواجهه من أخطار، قيده الخوف منها، حتى ذاق طعم الحرية فما سلاها، وأبَى إلا إياها.

كنت أشعر بطاقة إيجابية وراحة نفسية لم أعتد عليها من قبل، فقد اتخذت قراراً لن أتراجع عنه هذه المرة. طرقت عالية أختى الصغرى باب غرفتى تدعونى إلى إفطار يوم الجمعة الذى اعتدنا أن نجتمع عليه أسبوعياً دون أيام الأسبوع المكتظة بالالتزامات المختلفة لكلٍ منا.

كنت أبدو فى حالة ارتياح وهدوء، وبدأت جلسة الإفطار بحكايات على أخى - أو "على مو" كما

يسمونه تيمناً بمحمد صلاح "مو صلاح" - عن كرة القدم التى يعشقها، فهددته عالية بأنه إذا لم يتوقف عن حديث كرة القدم سوف تصفعه كما فعلت منة شلبى مع بيبو فى فيلم كده رضا، فضحك الجميع، ثم بدأت والدتى الحديث وقالت:

- انتظرنا حتى تنتهى فترة الامتحانات كى نعلن خبراً ساراً للأسرة.

فسألت: ما هو يا تري؟!

فاستكمل أخى ضاحكاً: أظن أنكم وافقتم على إقامة حفلة للأصدقاء ودعوة (ويجز) للغناء.

فعلق أبى ضاحكاً: أنتم جيل مظلوم لم يتذوق حلاوة الفن الراقى الذى عشناه، فجيلنا جمع بين عراقة الماضى المتمثلة فى أغانى الست أم كلثوم، عبد الوهاب، فريد الأطرش وعبد الحليم، وسِحر الحاضر المتجسد فى صوت على الحجار وعمرو دياب. أحذ الحديث الطابع الودى حتى فجرت أمى مفاجأة مدوية وقالت:

- نعم سيقام حفل كبير يدعى إليه الاهل والأصدقاء نعلن فيه خطبة نور وأحمد حسين

وقع على القول كالصاعقة لم أكن أعلم ان المواجهة ستكون وشيكة بهذه السرعة فبدأت اجمع شتات نفسى وقررت الدفاع عن عهدى ليوسف بكل ما اوتيت من قوة حتى اندفعت منى الكلمات دون تروى أو تنقيح معبرة عن حجم الثورة التى تكمن بداخلي

- إلى متى سأظل دُمية يقوم أصحابها بإطعامها وكسوتها بما يختارون لها، ليستمتعوا بها غير مبالين بمشاعرها واحتياجاتها؟! لا أريد أن أتزوج من أحمد، بل أنا مرتبطة بزميل آخر كنت على وشك أن أطلعكم على أمره.
- يوسف؟!
- نعم يا أمى هو يوسف، لست مندهشة لأنك تعرفينه فلك دائماً مصادرك الخاصة.
- انا لا أراقبك يا نور، لكن أصدقاءك هم من أخبرونى بعلاقتك به، وهم مندهشون لاختيارك
- أصدقائي! أنا ليس لدى أصدقاء، بل هم أبناء أصدقائك أنت الذين تربطهم بك مصالح، وهم دائماً يتوددون إليك لما يجنونه من منفعة.
- هل فقدت صوابك يا نور؟! أم أن هذا الشخص استطاع التأثير عليك حتى تخاطبينى بهذا الأسلوب، ومن هو

يوسف كى يطمع في أن يتقدم لخطبة ابنة محمد المهدي؟!

- إنه شاب مكافح وطموح وهو المرشح لإلقاء خطاب الطالب المتفوق فى حفلة التخرج دون باقى المنعمين من دفعتنا.
- لم يتقرب إلىَّ لثرائى واسم عائلتى كالآخرين.
- لم يبُح لى بأى شيء إلا بعد ما وضع الخطوط العريضة لهذه العلاقة .
- إنه مرشح للعمل والدراسة بإحدى جامعات أمريكا وهو يطلب منى الزواج والسفر معه.
- كان من الأحرى أن تتحدثى معى فيما يخصنى ولا تتحدثين إلى من تسميهم أصدقاء.
- أنت من ابتعدتِ عن أمك، فها هم إخوتك، الحديث بيننا لا يتوقف
- لم أعتد على الحديث معك، أنت لا تهتمين بما أحب أو أكره، لكنى دائما أتلقى منك التعليمات والأوامر حتى أصبح بيننا حواجز منيعة لا يمكن تجاوزها، أما إخوتى فهم لا يتنازلون عن رغباتهم ويفعلون ما يحلو لهم.
- هل تتهميننا بالتفرقة بينك وبين إخوتك؟!

تدخل أبى فى الحوار قائلا:

- لا ينبغى أن نحاسبها على ما تشعر به، بل نحاسب أنفسنا اننا كنا سببا فى هذا الشعور
- أبلغى يوسف يا نور أننى أريد أن أتحدث معه، ادعيه اليوم على العشاء.

الفصل الحادى عشر

بدا الإنزعاج واضحاً على وجه أمى وإخوتى، وسادت حالة من الصمت، فانسحبت إلى غرفتى فى هدوء. كان جسدى يرتعد من هول ما حدث، إنها المرة الأولى فى حياتى التى أدافع فيها عن حقى، فهذا هو العهد الذى قطعته على نفسى أمام يوسف، الذى لم يتردد فى قبول دعوة أبى، وحضر فى الموعد المحدد حاملا مجموعة من ورود التوليب التى يعلم أننى أحبها. استقبل والدى يوسف استقبالا يليق بأخلاق أبى الكريمة، أما استقبال أمى فكان أفضل مما توقعت، مما جعلنى أفكر فيما وراء هذا المشهد.

اتجه والدى ببطء متكئاً على عصاه إلى غرفة المكتب وتبعه يوسف، بينما كنت أحاول أن أشغل نفسى بالإشراف على تحضير العشاء، أما أمى فكانت تتابع كل ما يدور عن كثب.

استمر الحوار بين يوسف ووالدى قرابة الساعة، استطعت أن أستشف أنه كان حواراً مطمئناً للطرفين عندما بدأوا يتحدثون بود أثناء العشاء مما أزعج والدتى التى كانت تحاول إخفاء حقيقة مشاعرها الرافضة ليوسف.

استأذن يوسف وسلم على أبى سلاماً حاراً، وألقى التحية على أمى وإخوتى، كنت متشوقة لمعرفه تفاصيل الحوار ووقعه على الطرفين، يوسف كان شارد الذهن، لمحت فى عينيه الحيرة، أما أبى فكان راضياً عن اللقاء.

انتظرت أبى حتى فرغ من حديثه مع أمى التى تأخذ موقف الحياد على غير عادتها، ثم جلست معه لأستمع إليه..

- استمعى إلىّ جيداً يا ابنتى، الأيام التى سلبت منى الصحة منحتنى الخبرة، الشيب وعلامات العمر ما هى إلا الثمن الذى دفعته لأكتسب الحكمة، يوسف شاب رائع، مجتهد، لبق، ذكى، ولكنه طموح، فهل هو مستعد أن يتنازل عن هذا الطموح ليحافظ عليك؟! لا تتعجبى يا حبيبتى إذا كنت أتوقف عند هذه الصفة، وهى من الصفات الحميدة بلا شك ما لم تتحول إلى جموح وشهوة لا يشبع منها الإنسان أبداً حتى ينسى كل من حوله ليحقق ذاته، حياتك مختلفة تماماً عن حياته، وبالتالى الاهتمامات والاحتياجات، الغربة ليست بالأمر اليسير، إنها مشقة، حرمان ووحدة ستشعرين بهما لا محال، سينتظر منك العون الذى لن

تستطيعى أن تمنحيه إياه، وأنت مفتقدة احتياجاتك التى لا يعرف عنها شيء؛ لأن له هدفاً لا يرى غيره وكلاكما له العذر.

أعرف وأقدر أنك تحبينه وأنه يحبك، وأنا لست ضدكما وسأقف بجانبكما بما تمليه علىّ خبرة السنين، فالسفر هو الأنسب له وحده، ولكنه ليس مناسباً لكما معاً؛ لذلك عرضت عليه إدارة شركة من شركات المجموعة، فنحن نحتاج ونقدر الكفاءات، وأنا على يقين أنه سيكون مديراً ناجحاً.

- وهل وافق على ذلك؟

- طلب مهلة يفكر فى الأمر، وهذا حقه.

عندها عرفت سبب شرود يوسف والحيرة التى لمحتها فى عينيه، وقدرت موقف أبى الذى حاول الحفاظ على علاقتنا بأنسب الطرق، لكنى لم أفهم ما كان يعنيه بسؤاله، هل يتنازل يوسف عن طموحه ليحافظ عليك؟ بدأ القلق يتسرب إلىّ شيئاً فشيئاً، وأدركت أن الأمور أكثر تعقيداً مما ظننت.

أشاد يوسف بوالدى وأعرب عن إعجابه به، كما أشار إلى أنه فى موقف لا يُحسد عليه، حيث إن عليه أن يختار بين ما يمليه عليه العقل وما يميل إليه القلب.

مرت أسابيع بعد لقاء يوسف ووالدى لم تكن الأفضل، كان يوسف خلالها متحفظاً، يفتقد لروح التفاؤل والشغف التى اعتدتها عليه، لا يسعى إلى مقابلتى إلا بعد إلحاح منى، كنت خلالها أحاول أن ألتمس له الأعذار، وقد أقنعت نفسى بأنه سيفاجئنى بما يستريح له قلبى، فهذه عادته...

- نور، حاولت أن أعيش فى جلبابك لأنعمَ بقربك وأوشكت أن أقبل دور الفارس الذى أصبح أميراً عندما اختارته ابنة الملك زوجاً لها، إلا أن الظروف كانت أقوى منى، أتمنى لك السعادة التى لن أعيشها بدونك.

وقعت عينى على تلك الرسالة وكأننى أشاهد فيلماً درامياً له أبطال، هم أناس آخرون ليسوا أنا ويوسف. بدأت دقات قلبى تتسارع وشعرت ببرودة، وتنميل فى أطرافى، وألم وضيق فى صدرى وكأن روحى تصّعد للسماء.. تحاملت على نفسى لأصلَ لباب غرفتى لطلب المساعدة، حتى خارت قواى وسقطت على الأرض فى حالة إعياء شديدة.

كنت أسمع أصواتاً وأغيب عن الوعى ثم أعود لأسمع صوت سارينا سيارة الإسعاف، حتى انتهى بى الحال

إلى جناح بالمستشفى، حيث شُخصت حالتى بصدمة عصبية حادة.

أفقت لأجد الجميع حولى، أبى، أمى، إخوتى، خالى، وعمى حسين وأحمد اللذان لم يعرفا عن حالتى غير أنها حالة إرهاق.

بحثت يائسة عن يوسف بين الحاضرين لكنى لم أجده فأدركت أن الأمر قد انتهى.

مكثت فى المستشفى قرابة الأسبوع، حاول خلالها الأطباء التخفيف عنى من خلال العلاج الدوائى والجلسات الشخصية، حتى استقرت حالتى وعدت إلى المنزل، فقدت الكثير خلال تلك الفترة التى قضيتها فى المستشفى لأعود إلى منزلى مكسورة أمام نفسى، مهزومة أمام أمى، أرى الحسرة فى عينى أبى لتزيد من معاناتى، أقلعت عن الذهاب إلى الشركة، فقدت الاهتمام بكل شيء، أصبحت لا أستطيع النوم إلا بعد تناول المهدئ الذى وصفه لى الأطباء عند اللزوم، إلا أننى تجاوزت فى تناوله الجرعة المقررة.

الفصل الثانى عشر

حاول أبى مِراراً وتكراراً أن يساعدنى كى أتخطى محنتى، فقد كان هو الإنسان الوحيد الذى أتمسك بالحياة من أجله، أما أحمد فلم ينقطع عن زيارتى ومحاولة التقرب منى، برغم التغير غير المبرر الذى طرأ علىّ، والغموض حول اختفائى المفاجئ عن العمل، كان يشعر أننى مررت بزلزال قوى فى حياتى ما زلت أعانى من توابعه، أو أن هناك سحابة كثيفة مرت فى حياتى وينتظر حتى تهدأ العاصفة، وتختفى الغيوم، وتشرق الشمس من جديد.

جاهدت نفسى كثيراً حتى لا أسبب المزيد من الألم لمن حولى، خاصة أبى الذى كان ينتظر أن أتخطى محنتى بسلام لأبدأ حياتى من جديد، وكذلك أحمد الذى لم أر منه إلا الاهتمام والدعم.

توقعات من حولى أصبحت عبئاً علىّ، وفى الوقت نفسه لا أحد يشعر بالغضب المتأجج بداخلى، أحاول أن أخرج من النفق المظلم الذى أعيش بداخله وحدى دون جدوى.

أمسكت بهاتفى قاصدة فيسبوك، باحثة عن يوسف الذى لا أعرف عنه شيئاً من يوم الرسالة الصادمة التى تلقيتها منه من قرابة أسبوعين، كنت خلالها أمنع نفسى عن محاولات البحث وراء يوسف الذى أنهى علاقته بى بطريقة مهينة، رسالة عبر الهاتف لأجد المفاجأة، أنه أنهى صداقته معى عبر الحساب واحتجب تماماً عنى حتى أننى لم يعد بإمكانى الوصول إليه حتى من خلال الأصدقاء المشتركين.

أجهشت فى بكاء طويل، وشعرت بثورة تشتعل فى صدرى، وسألت نفسى: أين الوعد الذى وعده لى بعدم الخذلان؟ ألا يُعد هذا خذلان؟ بل إنه تعدى مرحلة الخذلان إلى مرحلة الغدر، صدق والدى عندما حدثنى عن طموحه أو جموحه كما وصفه أبى، لقد تخلى عنى من أجل تحقيق ذاته.

لن أبكى عليه بعد اليوم، هذا هو قرارى الذى لن أتراجع عنه أبداً، سأبحث عن كل طريقة وأى طريقة كى أنسى هذا الشخص الذى تسبب لى فى كل هذا الألم والخزي.

تصفحت أرقام هاتفى لأبحث عن أصدقاء أنتمى إليهم، نتقابل، نسافر سوياً، أردت أن أفعل أى شيء كى أخرج من عزلتى.

لم يكن الأمر بالصعب أو المعقد، بل كان أسهل مما تخيلت، فأنا فتاة ثرية، الجميع يطمح لصحبتي. انضممت إلى مجموعة عبر (الواتس آب)، لم أكن أتخيل أنى فى يوم ما سوف أسعى إليهم، لكن الأمور لم تعد على حالها، هم متحررون، مختلفون عنى أو كذلك كنت أراهم من قبل عندما كنت أنا، أما الآن فقد تغيرت مبادئى وقناعاتى حتى أصبحت أعيش حبيسة داخل إنسانة لا أعرفها ليست أنا وإنما شخص مهزوم يحاول أن يثبت لنفسه أنه منتصر.

بدأتُ أخرج معهم، أحاول أن أجاريهم كى يتقبلوننى، بل إنها لم تكن مجاراة إنما بداية السقوط، كانوا يرحبون بى مع كل سقطة، يشجعوننى ويطمحون إلى العديد من السقطات، كان منهم من يهربون من واقعهم بينما كان آخرون ينتقمون ممن حولهم ولا يجدون سبيلا إلى ذلك غير تدمير ذاتهم انتقاماً من الآخرين. عالم غريب، أبطاله يتظاهرون بالقوة وهم أضعف

المخلوقات، كنت أشفق عليهم عندما أسمعهم يتحدثون عن مشاكلهم، فتتأجج مشاعرهم ويبكون أحياناً، ثم يهرعون إلى تخدير تلك المشاعر بما يتناولونه من مواد مخدرة، فتجف دموعهم ويتحولون إلى بهلوانات يضحكون ويسخرون من نفس الشيء الذى كان يبكيهم منذ ثوانٍ معدودة، كأنما كانوا يحاولون أن يثبتوا لأنفسهم - عنوة - أنهم سعداء.

نازلى، فتاة رائعة الجمال والمظهر، سُميت على اسم جدتها لوالدها، الابن الوحيد المدلل من أمه وأخواته البنات الذى كان متعدد العلاقات، لا يتوانى عن مغازلة السيدات، بداية من زوجات أصدقائه فضلا عن السكرتيرات ونزولا إلى المربيات الأجنبيات اللاتى يعملن بالمنزل.

لم تجد الزوجة الدعم الكافى من أسرة زوجها، وهو الشيء المتوقع، فقد كانت أمه وأخواته دائماً يتهمونها بالشك المرضى، وعندما تبينوا من سوء سلوكه حملوها مسئوليه تصرفاته المشينة بحجة أنها فشلت فى الحفاظ عليه، أما أهلها فطلبوا منها أن تتحمل من أجل أبنائها، فيكفيها المستوى المادى الذى تعيش فيه

حتى أنها أصيبت بأمراض خطيرة توفيت على أثرها تاركة خلفها فوضى أسرية عارمة وبيت أشبه ببيت العنكبوت، الأولاد فى حالة انهيار وتصدع نفسى كامل، أما الأب فقد غيَّرته الصدمة تماماً وهجر علاقاته الآثمة، وحاول ولا يزال يحاول دون جدوى التقرب لأولاده.

استمع الحضور باهتمام وكذلك حياة التى فرغت من تدوين ملاحظاتها ثم قالت:

- ما أصاب والدة نازلى – رحمة الله عليها – من أمراض عضوية أفضت بها إلى الموت، ما هو إلا نتاج خيبة الأمل التى شعرت بها هذه السيدة التى كانت تنتظر صلاح حال زوجها.

من الواضح أنها اختارت الاستمرار، ربما لشعورها ببعض الأمل أو لكونها لا تزال تحب زوجها، وقد يكون رصيده لديها لم يفرغ بعد؛ لأن المرأة عندما تفقد كل ما سبق تبيع كل شيء لتحافظ على ما تبقى منها، ثم تلجأ إلى ترميم أولادها بمفردها لأنها فى هذه الحالة تكون قد أيقنت أن استمرار الحياة الزوجية قد يؤدى إلى نتائج خطيرة.

هنا نجد أن الأولاد لا يشعرون بالغضب نحو الأب فقط، وإنما أحياناً يمتد غضبهم إلى الأم هى الأخرى؛ لكونها لم تنجُ بنفسها من هذا المستنقع قبل أن تفقد صحتها وحياتها، وهذا ما حدث مع نازلى التى تعانى من عدة مشاعر، فهى تشعر بالغضب تجاه أمها وتفتقدها فى الوقت نفسه، كذلك إنها تشفق على الأب المكلوم الذى استفاق من غفلته وتخلى عن أنانيته وغروره، لكن للأسف على حساب حياة زوجته المخلصة، وكذلك على أشلاء أولاده، كل هذا مع شعور تلك الفتاة بغضب شديد وعنيف.

إنه صراعٌ نفسى قاسٍ تمر به الفتاة التى انتهى بها الحال أن تعبر عن هذا الغضب بتدمير نفسها..

ردد أحد الحضور عبارة: "إنها تحتاج إلى التعافى بالرضا للوصول إلى السلام النفسي".

بالضبط - أفادت حياة ثم استكملت - هنا نجد أن الفتاة اختارت المخدرات وهو مرض الاعتمادية، بمعنى اللجوء لأسهل طريق والاعتماد عليه للهروب من الواقع دون تقدير العواقب المدمرة والوخيمة لتلك

الملهيات، وكما ذكرنا من قبل أنه دائماً يكون هناك بابًا مفتوحاً وعلينا أن نستغله ولا نغلقه أبداً.

الأب هنا يمد يده لأولاده، وهم يرفضون بدعوى الانتقام منه، وفى الوقت نفسه نجد أن هذا الأب كان يعانى من الِكبر والغرور، إنها أمراض عادة يفيق منها المرء على كارثة، وكذلك يمتد الانتقام من الأم التى ضحت على أمل الإصلاح، هنا سواء اتفقنا أو اختلفنا مع رد فعل الأم إلا أننا لا نستطيع أن ننكر أنها ربما لم تشاهد ثمار صبرها وتحملها، ولكن الأثر الطيب لا يزول أبداً فقد عاد الأب لأبنائه نادماً باكياً، ولنعلم دائماً أنه ليس فى العلاقات ما يسمى بالصح المطلق أو الخطأ المطلق، وأحب أن أذكر نفسى وأذكركم أنه لا ينبغى لنا أن نصدر أحكامًا على أحد؛ لأننا إذا كنا مكانه لفعلنا مثل ما فعل.

إنها حياة صوت العقل، القلب الكبير، اسم على مسمى، تستمع إليك باهتمام، تدون ملاحظاتها فى هدوء، تفسح المجال للجميع كي يتكلم دون خجل، ومهما بلغت أخطاؤه لا تسمح بإصدار الأحكام أو النقد وإنما العلاج والتعافى، والوصول للسلام النفسى هو الهدف.

سألت نفسى كثيراً، هل تلك السيدة لديها مشاكل؟! وما هى تلك المشاكل؟! وكيف تتعامل معها؟! أهناك من ساعدها كى تتخطاها؟!

لم تكن تلك التساؤلات تدور فى خاطرى وحدى، وإنما تراود المجموعة بأكملها، مع مرور الوقت أصبحنا مترابطون، نهتم بأمور بعضنا البعض، لم تكن تلك التساؤلات من باب الفضول، وإنما حرصاً منا على الاستفادة من تجربة السيدة التى تقدم يد العون للجميع.

الفصل الثالث عشر

كنت أنتظر موعد كل جلسة حتى أكتسب دفعة جديدة تعيننى على الكتابة، فنهاية كل لقاء كانت بمثابة بداية لمواجهة صادقة مع النفس دون تزييف أو تجميل للمشهد.

انزلقت داخل بئر مظلم، وتحولت بين عشية وضحاها إلى مدمنة لحبوب الشجاعة أو السعادة كما يسمونها، أى سعادة وأى شجاعة زائفة تلك التى يتحدثون عنها، لقد حولتنى لبقايا إنسان.

بدأت رحلتى مع الإدمان بالإلحاح علىَّ كى أجرب معهم مرة واحدة هذا الشىء السحرى الذى سلبنى آدميتى، فتحولت بعدها إلى عبد ذليل، لا أستطيع أن أمارس أبسط مهام حياتى دونه، كنت أشعر أننى حبيسه داخل جسمى، مسيرة لا مخيرة، حتى انفصلت عن عالمى وحياتى لأفيق بعد بضع ساعات على إحساس مضاعف من الحزن والأسى على نفسى التى انحدرت فى هذا المستنقع، فألجأ إلى إنكار الواقع الذى لا أستطيع أن أواجهه فأهرع مرة أخرى لتلك الأشياء. تغيرت أخلاقى واقتناعاتى وأحكامى على الأمور ...

كنت أمثل أمام عائلتى أننى ما زلت نور؛ حتى لا يشعروا بما طرأ علىَّ من تغيير، فأسمعهم يا يريدون أن يسمعوه ليطمئنوا، وأمضى أنا فى طريق الهاوية التى بدأته بمحض إرادتى.

وافقت على الارتباط بأحمد بعد إلحاح والدتى لاستكمال الحبكة الدرامية، للصورة الزائفة التى ينشدها كل من حولى.

هذه المرة كنت أبالغ بإظهار سعادتى من خلال الصور والتسجيلات التى التقطت أثناء الحفل الأسطورى الذى أقيم لخطبة ابنه رجل الأعمال محمد المهدى وابن شريكه حسين العارف، حتى يتجرع يوسف بعض الآلام التى تجرعتها أنا بعد رحيله عنى.

أعرف أننى تحولت لإنسان أنانى لا يشعر بالآخرين، فما الذنب الذى اقترفه أحمد كى يكون هو الأداة التى استخدمها للانتقام من يوسف.

وتمر الجلسات تباعاً، ومع كل جلسة تتبدل التكهنات عن تجربة حياة التى احتلت بأخلاقها جزءا مهماً داخل قلب كل منا، حتى أصبحنا نرسم صورة مثالية لحياتها الشخصية من خلال الصور العديدة المنتشرة فى أرجاء المكان.

لابد أن تكون حياتها مستقرة حتى تكون على هذا القدر من الهدوء والسكينة، فهى تستطيع أن تعطى طاقة إيجابية للجميع، وإذا استندنا إلى القاعدة التى تقول: "فاقد الشيء لا يعطيه" فإننا بذلك نستخلص أنها تمتلك كل ما تعطيه لنا من سعادة، لكن ما كان يحيرنا هو من أصحاب تلك الصور؟!

إنها حقا صور جميلة ومحيرة فى آن واحد، تلك الصور التى تبدو قديمة نوعاً ما، تتوسطها هى وعن يمينها ويسارها فتاتان صغيرتان فى نفس السن تقريبا، لابد أنهما ابنتاها فهما تشبهانها فى الملامح الجميلة والعيون البنية المتسعة، لكن هناك صورة أخرى لها على الجانب الآخر يبدو أنها التقطت فى وقت أحدث مع ثلاث فتيات أخريات أكبر سناً، لا يتناسب مع عمرها أن تكون أما لهن؛ فهى تبدو فى نهاية الثلاثينيات، ومعهن سيدة تحاول إخفاء ما يبدو عليها من تعب، شعرها مغطى بغطاء أنيق لكنه لا يبدو حجاباً.

ويبقى السؤال الأهم أين هن؟! لماذا لم نر أياً منهن ولو صدفة؟!

اختلفت الجلسة هذه المرة عما سبقها من جلسات ماضية، فقد حضرت رشا الأخت الكبرى لريم، كذلك مايا الابنة الوسطى للأستاذ نبيل، فقد نجحت حياة خلال الجلسات السابقة فى حث كل من ريم وأستاذ نبيل على السعى لتحسين علاقاتهم الأسرية، حتى كللت مساعيها بالنجاح، وبدت علاقة ريم ورشا طبيعية إلى حد كبير، كما ظهر الارتياح على أستاذ نبيل وابنته التى بهرت والدها، وكذلك الحضور بذكائها الاجتماعى الذى ربما لم يكن منتبهاً له من قبل.

مها تلك السيدة الثلاثينية التى كانت تعانى من الغيرة الشديدة على زوجها، والتى تحسنت حالتها إلى حد كبير بعد حضور الجلسات، سألت سؤالاً ذكياً كنا جميعا نتمنى أن نعرف إجابته: من هن أصحاب تلك الصور؟!

كان سؤالاً جريئاً لم يجد أحد الحضور الشجاعة ليسأله، وكانت المفاجأة عند سماع إجابة حياة التى قالت بكل ثبات:

هؤلاء هن من جعلهم الله سبباً حتى أكون حياة التى أمامكم، منهن من سئمت الحياة لفراقهن، ومنهن من تعلقت بالحياة من أجلهن، إنهن تجربتى أنا.

سادت حالة من الصمت والترقب، حتى أخرجت حياة كتاباً مطبوعاً على هيئة رواية تحت عنوان "أعيدوا لى نبض الحياة" ثم اتجهت بنظراتها إلى الصورة التى تجمعها بالفتاتين وقالت:

- هاتان ابنتاى، رُزقت بهما بعد سنوات عديدة ومحاولات مضنية، هما توأمان لكنهما ليستا متطابقتين، اختطفهما والدهما وسافر بهما إلى بلاد لا أعرفها، انتقاما منى لكونى أصررت على الانفصال عنه لاستحالة استمرار الحياة بيننا، كدت أفقد عقلى وأنا ابحث عنهن فى كل مكان بلا جدوى، حتى تملك اليأس منى، ومررت بظروف نفسية قاسية، أخرجت منى حياة التى تجلس أمامكم، فقد قررت أن أكرس جهودى لمساعدة كل من حولى، درست واجتهدت، وكنت عوناً لأختى الكبرى التى أصيبت بالمرض الخبيث فى المخ، كنت أما ثانية لبناتها اللاتى كن ينادييننى "ماما"، وعاشوا معى سنوات عدة بعد وفاة أختى حتى سافرن إلى هولندا للدراسة، وهن يقمن مع

والدهن الذى يعمل بالسلك الدبلوماسى بالسفارة، ويقضون معى الإجازة الصيفية.

أما هذا الكتاب فهو يحكى تجربتى بالتفصيل، ربما تقرؤه بناتى يوماً فيكون سبباً لعودتهن لى.

الفصل الرابع عشر

طلب جميع الحضور نسخة من القصة التى كتبتها حياة، لم يكن هذا تطفلاً، بل كنا حقاً نريد أن نعرف ما وراء الأبواب المغلقة، وكيف استطاعت أن تصل إلى التعافى والوصول إلى السلام النفسى.

دخلت إلى غرفتى ملهوفة كعادتى فى كل مرة أعود فيها بعد الجلسة، لكن هذه المرة لم تكن اللهفة لرغبتى فى استكمال الكتابة، بل كنت أرغب فى قراءة الرواية التى تحكى خلالها حياة تجربتها الشخصية.

كانت الساعة قد قاربت العاشرة مساء، فظننت أننى سوف أمكث ساعة أو ساعتين على الأكثر، لكنى لم أشعر بمرور الوقت حتى نادى المؤذن لصلاة الفجر، فوجدتنى أدعو الله لها من كل قلبى أن يقر عينها ويجمعها ببناتها، لم أكن أعلم أن هذه السيدة تحمل بداخلها كل هذه المشاعر، إنها تحمل اليأس والأمل، الحزن والرضا، الصبر، الشوق، الحنين، الفقد.

كانت تصف مشاعرها لحظة بلحظة، عندما علمت أنها تحمل جنينا بأحشائها لطالما انتظرته وهى صابرة وواثقة من قدرة الله، وكيف بكت فرحاً عندما تبين لها أنها تحمل توأمين، وما إن عرفت أنهما فتاتان حتى

اختارت اسميهما: هبة ومنة فهما حقا الهبة والمنة من الله.

عاشت معهما فى خيالها قبل أن تراهما، حلمت بمداعبتهما، بنجاحهما، بزواجهما.

وعندما أصبحت أما لم تسعها الدنيا وما عليها من السعادة، كانت تأبى إلا أن تقوم هى برعايتهما من فرط حرصها عليهما، كانت تحكى عن تلك الفترة التى قضتها مع بناتها، وكأنها كانت تريد أن تدون تلك الذكريات حتى تسترجعها وتعيشها مرات عديدة لتعوضها عن ذكريات أخرى تمنت أن تعيشها إلا أن القدر لم يمهلها، بل إن الدنيا أرادت أن تختبر قوتها فسلبتها جوار من كانت تحيا بأنفاسهما.

لم تتنحَ حياة عن مسئوليتها تجاه ما تعرضت له من أذى نفسى عندما اكتشفت علاقة زوجها بصديقتها، بل أقرت بأنها قد تكون بالغت فى الاهتمام بالصغيرات على حساب الزوج، ولكن ما بال الزوجة التى كانت مهددة بالاستغناء عنها إن لم تنجب، إنها كانت تشعر أن وجود ابنتيها بمثابة طوق الأمان لاستمرار حياتها الزوجية، إلى ان أدركت حقيقة الأمر، وهى أن الزوج كان دائما يحاول أن يجد لنفسه المبررات لكل اخطائه،

فكان يلمح لها بالزواج بأخرى إذا لم تنجب، وحين أنجبت برر علاقته بصديقتها بإهمالها له، فلو أن كل زوج انشغلت عنه زوجته بتربية أولاده أقام علاقة مع امرأة أخرى ما سلم بيت من هذا المصير.

لم يشعر الزوج بالآلام النفسية التى كانت تعانيها زوجته مع كل مرة تخفق فيها محاولات الإنجاب، ولم يقدر ما تجرعته من متاعب للحفاظ على الرزق الذى وهبه الله لها بعد طول انتظار وصبر.

استغل الزوج ضعف الأب والأم المسنين، ولم يقدم على إصلاح صدع العلاقة بينه وبين زوجته، التى كانت مستعدة لأن تستمر فى الحياة الزوجية بمجرد الاعتراف بالأخطاء والترضية، لكن ذلك لم يحدث، لم تكن ترغب فى إذلاله كما كان يظن، بل على العكس تماماً، كانت تريد أن تطمئن إلى أنه لن يكرر هذا الخطأ مرة أخرى.

لكن أحيانا (الإيجو) أى الكبر والعناد يكون له ثمن فادح ،يجعلك تخسر أغلى ما أعطته لك الدنيا دون أن تشعر، حتى تمر الأيام وتدرك قيمة خسارتك، يومها لا تجد أمامك إلا الندم فتتجرع آلامه وحدك، وما أقصاه من إحساس!

لم أكن اتخيل أن حياة مرت بكل تلك التجارب، تعرضت للخيانة والغدر من أقرب الناس إليها، من الشخص الذى كانت تظنه سنداً لها من غدرات الزمان.

فقدت فلذات أكبادها لأجل غير مسمى، وفقدت الأب والأم الواحد تلو الآخر حزنا على حالها وحال أختها المريضة، ربما كانا يشعران بالعجز عن المساعدة والعون فأرادا ألا يكونا عبأ وآثرا الرحيل فى هدوء، تلك كانت كلماتها التى أبكتنى فى وصف المشهد.

بكيت بعد إتمام القراءة؛ لأننى عشت معها كل شعور عاشته، كما تعيش هى معنا جميعاً كل مشاعرنا.

تعلمت منها الكثير والكثير، إنها رغم كل ما مرت به لم تسقط، بل عرفت أن بقاءها له قيمة وهدف، فكانت عوناً لأختها حتى النهاية، سنداً لبنات الأخت اللاتى كانت تعتبرهن عوضاً لها عن فقدان بناتها حتى احتوتهن، وأخرجت معهن مشاعر الأم المكلومة حتى شعرن أنها أمهن التى لم تلدهن.

لم تطلب أن ينادينها "ماما"، بل فعلنها من تلقاء أنفسهن، فهى ليست مجرد كلمه، بل هى شعور.

كانت تتحلى بالأمل فى فترات اليأس، القوة فى خضم الضعف، لم تنح عن نفسها الخطأ، بل اعترفت به.

دعت والد بناتها أن يتخلى عن الكبر والعناد، وأن يحاول أن يصل إلى السلام النفسى، ناشدته أن يفعل لينعم بحياة أفضل، نبهته أنه دون أن يشعر يكرر أخطاء والده الذى طالما انتقده من قبل عندما انفصل عن والدته فى صباهأ وتجرع هو ألم عنادهما معاً بلا ذنب اقترفه إلا أنه ابنهما.

ثم ختمت قصتها بلقاء مؤثر بينها وبين بناتها، رسمته من وحى خيالها، تعيش على أمل أن يتحقق

الفصل الخامس عشر

توطدت العلاقة بيننا كمجموعة، حتى أصبحنا جميعاً أصدقاء بعدما سمحت لنا حياة بأن نتبادل بياناتنا، حيث تأكدت أننا أصبحنا مستعدين لهذا، كانت تريد منا أن نشعر ببعضنا أولاً، وأن نكون حقاً عوناً لبعضنا البعض، ونتخلى عن الأحكام المسبقة، فمن منا لم يخفق؟!

نعم إنها الحقيقة التى أعترف بها، لقد أخفقت، أخفقت عندما بحثت عن الإلهاء، وسعيت بمحض إرادتى إلى أصدقاء السوء لأنجرف معهم فى هذا الطريق.

فقدت إحساسى بكل من حولى، حتى والدى أقرب الناس إلى قلبى، كنت أشعر باحتياجاته قبل أن يطلبها، أفهمه بالنظرة الأولى، إلى أن تخلت عنى بصيرتى ولم ألاحظ الانهيار الملحوظ لحالته الصحية، الذى كان يخفيه عن الجميع لأفيق من نومى على فاجعة هزت أرجاء كيانى، ألا وهى موت والدى.

أحقاً مات ابي؟! أم أننى أعيش كابوساً؟

نعم، مات أبى ورحل معه الأمان.

رحل أبى قبل أن أحكى له ما أعانيه من ألم

رحل من كنت أستمد منه القوة والجأش.

لم تتمكن تلك الأشياء التى كنت أتناولها أن تهدئ من روعى أثناء تلك الفاجعة، خانتنى، وتركتنى كما تركنى يوسف، أدركت أننى اعتمدت على السراب، فلماذا أتناولها إذن؟!

قررت الإقلاع عن تلك القاذورات التى منعتنى من أن أكون إلى جانب أبى فى أيامه الأخيرة، تلك كانت خسارتى الفادحة التى أفقت عليها بعد فوات الأوان.

لم يكن الأمر سهلاً، كان يتحتم على أن أبتعد عن أصدقاء السوء، وأن أتحمل أعراض الانسحاب، وما يصاحبها من تغيير فى المزاج، وضعف النشاط والحواس، ومقاومة الهواجس مثل الأفكار غير المنطقية والميول الانتحارية، فتلك الأشياء المدمرة لا تتركك لتعود لحالتك الطبيعية دون أن تضع بصماتها عليك.

كنت أرجئ كل هذه الأعراض التى لاحظها أحمد إلى حزنى على فقدان أبى، حتى يتقبل فكرة إقامتى بمفردى بفيلتنا بالجونة حتى تمر هذه الأعراض بسلام.

كان أحمد دائم الاطمئنان علىَّ، وكذلك كانت أمى تحاول أن تملأ مكان أبى الذى سيظل خالياً إلى الأبد.

مكثت فى الجونة قرابة الشهر، عانيت خلال تلك الفترة وحدى، كنت أشعر بآلام مضاعفة فى جسمى، صداع لا يتحمله بشر تعجز أقوى أنواع المسكنات المشروعة عن علاجه، سخونة ثم تعرق، ثقل فى لسانى، فكنت أحياناً لا أستطيع أن أجيب على تليفونات أحمد، وكنت أكتفى بالرد عبر الرسائل، لم أكن أنام لفترات طويلة حتى أننى كنت أرى الأشياء تتحرك من حولى، تهاجمنى أحياناً، الأصوات كانت ترهبنى، زقزقة العصافير تزعجنى بشدة، كنت أبكى، أصرخ، اضرب رأسى بالحائط من شدة الألم وقلة النوم، كنت أشعر أننى مراقبة، وأن كل الناس تعرف عنى ما أنا فيه، وربما يتآمرون علىَّ.

فقدت الكثير من وزنى، كانت تمر علىَّ أيام لا أتناول فيها إلا الماء وعسل النحل، وخبز (توست)، وكنت أحمد الله أن أمعائى لم تلفظها.

لم أكن أهتم بنظافة المكان وترتيبه كعادتى، بل لم أكن أعتنى بنظافتى الشخصية، لم أعد أطيق أن أنظر إلى نفسى فى المرآة.

لم أكن أنا.

شاهدت أبى رأى العين، لا أعرف هل كانت أحلام اليقظة، أم أنى غفوت من شدة التعب ورأيته فى منامى، كانت المرة الأولى التى أرى فيها أبى بعد رحيله، رأيته مبتسماً صابراً كعادته، لم يكن متوكئا على عصاه، بل كان صحيحاً معافى.

قال لي:

- أدركى نور، وأخذ يشدد علىَّ، ويكررها مراراً وتكراراً.

رحم الله أبى، الذى كان رحيماً بى حيّاً وميتاً، أدركنى، وشعر بى.

إنها كانت إشارة من الله أعادت لى توازنى، كانت باباً مفتوحاً يمر خلاله ضوء الشمس، وعلىَّ أن أتمسك به كما قالت حياة

"فبعد الظلام الحالك تشرق الشمس"

"لننتبه للأبواب التى تفتح لنا، حتى لو كانت بسيطة فربما تكون هى البداية لما نصبو إليه"

"يجب أن نعرف جيداً أن مع كل محنة منحة، فقد نبتلى لنكتشف فى أنفسنا قدرات لم نكن نعرفها، ولولا

المحنة ما عرفناها"

إنه كلام من ذهب يُحيى النفوس.

تعلقت بكلمات أبى، وحزمت أمرى على استعادة نفسى، بدأت أشعر بعدها بشىء من التحسن الطفيف حتى تمالكت نفسى شيئاً فشيئاً، ثم قررت العودة فى محاولة لممارسة الحياة والعمل من جديد، فقد طال غيابى واستدعت الأمور فى الشركة عودتى.

لن انسى اليوم الذى دخلت فيه الشركة أول يوم بعد عودتى، ولم أجد أبى فى مكتبه لأتناول معه قهوتى، دخلت مكتبى، وأجهشت فى البكاء لأجد أحمد فى انتظارى يقبل رأسى فى حنان لم أشعر به منذ فقدان أبى، فرق قلبى له وبدأت أشعر بالسكينة والهدوء، وأدركت أنه علىَّ أن أعطيه مكاناً فى قلبى الذى أغلقته على قصة حب فاشلة.

مرت شهور قليلة كنت خلالها أحاول أن أحب أحمد، الذى كنت أشعر تجاهه بالذنب كلما كان يشبعنى حنانا واهتماما، حتى جمعنا عمى حسين، واقترح أن نحدد تاريخاً لزفافنا فى حفل بسيط نظراً لظروف العائلة، شعرت وقتها بغصة فى صدرى، كنت أعلم أن تلك اللقطة آتية لا محالة ،وكنت دائما أتجنب التفكير فيها.

الفصل السادس عشر

تحدد موعد الزفاف، وجاء اليوم المحدد، الكل منهمك فى الترتيبات، الحديقة أصبح معدة، الورود والهدايا تتوافد، انتهت إجراءات عقد القران، وأصبحت أمام أمر واقع، أسير فى طريق بلا عودة، ارتديت فستان الزفاف، لم يبقَ إلا أن يأتى والدى، أتعلق فى ذراعه ليسلمنى لزوجى، لكنه لن يأتى، لن يقبلنى فى رأسى ويفرح من أجلى، انهالت دموعى عندما دخل على خالى ليحل مكان أبى، الحاضر فى قلبى الغائب عن الدنيا.

هكذا هى الأقدار تملى علينا ما كتبته لنا الأيام**!!**

لم أستطع هذه المرة أن أتظاهر بالسعادة الزائفة، وقلبى يبكى دماً شوقاً لأبى وحسرةً على حب عمرى الذى تخلى عنى، نعم هكذا كنت أشعر، تزوجت إنساناً خلوقا أحترمه، بينما قلبى لا يزال مع من خان عهده معى.

كان حفلاً هادئاً يضم الأهل والأصدقاء المقربين فقط، انتهى سريعاً.

دخلت إلى غرفتى لجمع متعلقاتى، فكان من المقرر أن نتجه إلى المطار خلال ساعات قليلة للسفر إلى جزر

المالديف، إلا أننى بمجرد انفرادى بنفسى انتابتنى حالة من القلق الشديد، بدأ جسدى يرتعد، حاولت أن أهدئ من روعى بلا جدوى، مما دفعنى إلى اللجوء مرة أخرى لتناول الشيء السحرى الذى يغير مزاجى ويمدنى بالقوة والشجاعة، هكذا صور لى عقلى فى هذه اللحظة، فقد أردت أن أظهر أمام أحمد بمظهر الزوجة السعيدة، فهو يستحق أن يشعر بأننى أبادله الحب الذى منحنى إياه.

لم أشعر بعدد الحبات التى تناولتها، حتى شعرت بدقات قلبى تتسارع بشكل غريب، ولم أعد أستطيع التنفس، لم أتمكن من النهوض من مكانى وفقدت الوعى.

لم تكن هذه المرة حالة صدمة عصبية، بل كانت حالة تعاطى جرعة زائدة من المخدرات، نقلت على أثرها إلى العناية المركزة، وتوقف قلبى مما استوجب عمل صدمات كهربائية لإنعاش عضلة القلب.

لحظة ضعف كدت أدفع ثمنها حياتى كلها، مررت بها كى أتعلم قيمة أن يمنحك الله فرصة الحياة مرة أخرى لعلك تتغير لتنجو بنفسك.

كانت مفاجأة صادمة لأمى وإخوتى وأحمد الذى انهار بالبكاء، وتضاعفت أوجاعهم عندما عرفوا حقيقة مرضى بالإدمان، لا أعرف كيف حدث كل ذلك، لكن هكذا مرت الأحداث.

مكثت بالعناية المركزة عشرة أيام حتى استقرت حالتى الصحية، كنت أرفض خلالها مقابلة أهلى وأحمد، لم تكن لدى الشجاعة لمواجهتهم، فضلاً عن تأخر حالتى النفسية، فقد كنت لا أكف عن البكاء، ولا أستطيع النوم دون عقاقير، حتى تم نقلى إلى منتجع للتأهيل النفسى، رفضت العلاج بشدة فى بداية الأمر، وهو شيء اعتاد عليه فريق العلاج إلى أن هدأت أعصابى، وبدأت مشوار التعافى.

مكثت داخل المنتجع عدة أشهر أتلقى علاجاً دوائياً ودعماً نفسياً.

حاول أحمد وأمى زيارتى، لكنى كنت أرفض بشدة، فأنا لم أعد أحتمل الإحساس بالذنب بعد كل ما سببته لهم من ألم، حتى تمكنت من أخذ قرار مصيرى لأضع حدا لتأنيب الضمير الذى يلازمنى.

طلبت مقابلة أمى التى هرعت إلىَّ، واحتضنتنى، وشاهدت دموعها التى لم أرها فى حياتى يوماً، ثم

طلبت مقابلة أحمد، لم يكن لقاؤنا سهلاً على كلينا، ولكن كان على أن أبلغه بالقرار الذى اتخذته.

- حمد الله على السلامة يا نور .. افتقدتك كثيراً

أبلغتنى الدكتورة التى تتابع حالتك أنك أصبح أفضل بكثير، وقريبا ستتركين هذا المكان

أعددت لك رحلة جديدة لنعوض كل ما فات و..

- أريد حريتى يا أحمد.
- ماذا تعنين؟!
- أرغب فى الطلاق.
- ستتخطين هذه المرحلة يا نور، وسأكون بجانبك.
- أرجوك يا أحمد، أريد حريتى.
- أنا أحبك يا نور، ولا أحتمل الحياة بدونك.
- لا تصعب علىَّ الأمور أكثر من ذلك.
- أمازلت تحبين يوسف؟!

أنا أعرف كل شىء عن علاقتك بيوسف

- الأمر ليس له علاقة بيوسف، أنا احتاج إلى ترتيب حياتى بشكل مختلف، وأنت من حقك أن تنعم بحياة هادئة.

ترك أحمد الغرفة التى كنا نجلس فيها ولم يعقب، تمنيت أن يثور فى وجهى، أو يصفعنى، لأتخلص من إحساس الذنب تجاهه، إلا أنه دائما يتصرف بسمو وحكمة مما يزيد من معاناتى.

خرجت من المستشفى النفسى إلى بيت أسرتى متمسكة برغبتى فى الانفصال عن أحمد الذى يصر على التمسك بى، ولايزال الوضع كما هو عليه حتى هذه اللحظة التى أكتب فيها آخر سطور قصتى التى لم تنته بعد، بل توقفت دون أحداث حتى إشعار آخر.

الفصل السابع عشر

شعرت براحة نفسية وصفاء ذهنى بعد إتمام مرحلة الكتابة، فعرفت المغزى وراء طلب حياة سرد التجارب الشخصية عبر الكلمات خلال السطور، إنها مواجهه للنفس، وكذلك وسيلة لتفريغ الأفكار السلبية، وعرض للإخفاقات، للتغلب على حالة الإنكار التى نمر بها خلال مرحلة التعافى.

تقابلت مع المجموعة فى اليوم الأسبوعى المحدد، وهذه المرة طلبت أن أشارك تجربتى مع الحضور، الذين تفاعلوا معى بشكل واضح، وأشادوا بشجاعتى واعترافى بأخطائى، بينما كانت حياة تدون ملاحظاتها كعادتها ثم بدأت حديثها قائلة:

- كنت على يقين أن الشخصية القوية التى أمامى ما هى إلا نتاج أحداث أقوى، وأتذكر أننى حدثتك بذلك من قبل وتعجبتِ، لكنى أرى الآن أنك فهمت معنى القوة التى نعتتُّك بها بعدما أنهيت مرحلة الكتابة والحديث عن التجربة بثبات.

أود أن أتحدث عن عدة نقاط جوهرية:

ذكرت أن إخوتك كانوا يحققون أحلامهم مع مباركة والدتك وتشجيعها، وكان هناك ثمة إحساس بالظلم

والقهر؛ لكونك لا تتمتعين بهذه الميزة، مع الشعور بالعجز عن تغيير الوضع، هنا أحب أن أقول إننا مسئولون عن الطريقة التى يتعامل بها الآخرون معنا، بمعنى أننا أبدينا الاستعداد للتضحية عن تلك الأحلام حتى وصل هذا الشعور للمحيطين بنا، فتعاملوا معنا على هذا الأساس، كل هذا يحدث على مستوى العقل الباطن، بمعنى آخر أننا إذا شعرنا بالضعف، ووصفنا أنفسنا بالضعف، فسيعاملنا من حولنا باعتبارنا ضعفاء والعكس صحيح.

وأنا هنا لا أعنى أننا لسنا مطالبين بالتضحية من أجل الآخرين فى بعض الظروف، ولكن ليس علينا أن نضحى فى كل الأحيان حتى نعتاد على منهج التضحية الذى يتوقعه منا الآخرون دوماً، ويحاسبونا لو لم ننتهجه، لكننا يمكننا أن نتمسك بأحلامنا مع مساعدة الآخرين وإرضائهم، دون المساس بحقوقنا.

هنا والدة نور لم تعتد منها الدفاع عن رغباتها المشروعة، إلا بعد ظهور يوسف فى المشهد، فشعرت بأنه السبب فى هذا التغيير المفاجئ، فرفضته فى المجمل.

تكلمت معكم فيما سبق عن أهميه استقرار العلاقة مع الأب والأم، ومدى علاقتها باستقرار الحياه، هنا نجد

أن جمود العلاقة مع الأم دفعك لتعويض هذا الجزء الفارغ، وجعلك تتعلقين بوالدك، فهو يملأ مكانه ويحاول ملء الفراغ الناتج عن توتر علاقتك بأمك، مما كان يزيد من حدة هذا التوتر؛ لأن ميلك ناحية الأب على حساب الأم كان يؤلمها، وأحيانا يشعرها بالغيرة، وكذلك يخلق نوع من التوتر بين الأب والأم، كل هذا يحدث على مستوى العقل الباطن.

وفى بعض الأحيان يحتاج الأب لتعويض اهمال زوجته، التى تركت مكانها فى نظام الأسرة بتوطيد علاقته بابنة من بناته، فيبدأ مشاركتها موضوعات وقرارات كان ينبغى أن يشارك فيها زوجته، مما يزيد من حدة الشقاق بين الزوجين من ناحية، وبين الأم والابنة من ناحية أخرى، ويحدث الشىء نفسه عندما تفقد الأم وجود الزوج سواء أكانا منفصلين أم كانت أرملة، فتعتمد على الابن، فتحمله مالا يطيق دون أن تشعر، فتتوتر حياة الابن، الذى يجد نفسه مسئولاً عن أمه، وفى بعض الأحيان عن إخوته الصغار، فيعانى من عدة صراعات نفسية.

دورى أن أوضح تلك الأمور، حتى نفهم كيفية التعامل معها، مع الحفاظ على توازننا النفسى.

المواجهة التى دارت بينك وبين والدتك كانت مفيدة وصحية لكلتيكما، فقد أخرجتما كل ما بداخلكما من أسباب تصدع العلاقة.

كل ما سبق نتج عنه مشكلة، ألا وهى التعلق الذى تعرضت له نور، تعلقت بيوسف، وتعلقت بأبيها، وفقدت الاثنين لتقع فريسة للاكتئاب والإدمان.
نور أنت مررت بعدة مراحل، منها: الغضب، الإنكار والحزن، وحاولتِ التخلص من تلك المشاعر السلبية بالهروب والانفصال عن الواقع.
نحن هنا لا نصدر أحكاماً، فالكل معرض لأن يتصرف التصرف نفسه عند تعرضه لمثل هذه الظروف، ولكننا هنا نتناقش لنتعلم حتى نغير حياتنا مستقبلاً.
فى ضوء ما سبق أاريد منك المرة القادمة أن ترسمى لنفسك الطريق، وكذلك كل منا سيبحث لك عن الأفضل.
هكذا انتهى الحديث عن تجربتى، وعلىَّ أن أرسم طريق حياتى فى ضوء ما شرحته لنا حياة.

الفصل الثامن عشر

دخلت إلى المنزل فى حالة من الاستقرار النفسى والتفاؤل شعر بها الجميع، أسرعت إلى غرفتى هذه المرة حتى أبدأ تخطيط وتنفيذ خارطة الطريق التى أريدها لنفسى .

قمت بإجراء بحث مفصل عن دراسة الرسم فى الجامعات بالخارج، وبدأت أتواصل معهم عبر صفحاتهم، وأُجرى مجموعة من الحوارات من خلال الفريق المسئول عن الاستشارات، والرد على استفسارات الطلبة.

أرسلت جميع الشهادات التى طُلبت منى للاطلاع عليها لتحديد المقرر التعليمى الأنسب لى.

انتظرت عدة أيام حتى وصلت إلى كل العروض من مختلف الجامعات، حتى استقر رأيى على أفضلها، وقررت البدء فى الإجراءات.

لم أكن أفكر فى شىء سوى البحث عن كيفية تحقيق أملى الذى تخليت عنه، فأردت عن أستعيده بأسرع طريقة، فقد طال الانتظار كثيراً.

كان على إنهاء الإجراءات بسرعة قبل بدأ موعد الدورة، التى سوف تبدأ خلال شهر، وتستمر لمدة أربعة أشهر.

كانت حياة والمجموعة يشاركوننى خطواتى، سعداء لما وصلت إليه، متمنين لى التوفيق والسداد.

اجتمعت بأمى وإخوتى لأطلعهم على مستجدات الأمور، لم يكن الأمر سهلاً خاصة عندما أبلغتهم بحتمية انفصالى عن أحمد، لم يكن هذا الإصرار إلا تعبيراً عن إحساسى بالذنب تجاه هذا الشخص الكريم، الذى لم أعد أحتمل معاناته معى، كنت أريد أن أعطيه الفرصة، ربما يجد من هى أنسب له منى.

لم يعد أمامى إلا بضعة أيام على موعد السفر، فذهبت إلى حياة أشكرها على دعمها لى وللآخرين، ثم ذهبت لزيارة قبر أبى، وأخيراً التقيت بأحمد.

كان لقائى بأحمد هو الأصعب علىَّ، حتى كدت أركن إليه وأتراجع عن كل شىء، فأنا لم ولن أجد فى حياتى من هو أخلص لى منه، إلا أننى تذكرت كلام حياة لا ينبغى لنا أن نضحى من أجل الآخرين على حساب أحلامنا.

سافرت إلى الولايات المتحدة لألتحق بجامعة جنوب ولاية فلوريدا بمقاطعة تامبا، أقمت فى المبنى المخصص للطالبات المغتربات بالجامعة بغرفة فردية ملحق بها حمام، فى اليوم التالى كان فى استقبالنا

مجموعة من الطلبة من مختلف الجنسيات يعملون بالجامعة أثناء العطلة الصيفية، ينظمون قاعات استقبال الطلبة الجدد لمختلف التخصصات، يقدمون لهم النصائح والدعم.

بدأ اليوم بتلقى مجموعة من المحاضرات لتعريف الخدمات الموجودة داخل الجامعة، ومواعيد تقديم الوجبات بالمطاعم، والنظام المتبع داخل الجامعة وخارجها، فضلا عن مواعيد الأوتوبيسات الخاصة بالطلاب، ووجهتها، تلتها استراحة قدمت خلالها الوجبات والمشروبات الخفيفة، ثم انتهى اليوم بجولة داخل الجامعة للتعرف على أسماء المبانى وأماكن المحاضرات.

تعرفت على مجموعة من الطالبات، اتفقنا معاً على أن نستقل أوتوبيس الجامعة ليقلنا إلى أقرب سوق تجارى لشراء التجهيزات المطلوبة للغرف الخاصة بنا.

السوق فى مكان مفتوح يجمع العديد من المحال والمطاعم، الطقس صيفى ممطر، مما اضطرنا لشراء مظلات محمولة، سكان المنطقة ودودون ومتعاونون.

شعرت ببداية تحقيق أحلامى مع بدء الدراسة التى نقلتنى إلى عالم آخر كنت أعيشه فى خيالى، الوقت يمر بسرعة فائقة، ربما لكونى أدرس شيئاً أحبه.

كنت أنام نوماً عميقاً، وأستيقظ فى نشاط وحيوية، أنتظر بشغف وقت المحاضرات، خاصة تلك التى كنا نقضيها فى الأماكن المفتوحة، نرسم لوحات لمناظر طبيعية.

مرت ثلاثة أشهر كامله كأنها أسبوع لا أكثر، كنت أشعر خلالها بأننى أقضى رحلة سياحية ممتعة، وبينما أنا أسير فى طريقى فى اتجاه مكان المحاضرة، سمعت من ينادينى: نور... نور، توقفت عن الحركة، وخشيت أن أستدير للخلف لأتحقق من صاحب الصوت الذى أعرفه جيداً، أحقاً هو؟! كيف؟! ولماذا؟!

يتجدد النداء مع اقتراب الصوت أكثر فأكثر، حتى وجدته يقف أمامى، نعم إنه هو يوسف السكرى.

الفصل التاسع عشر

كان لقاءً الصمت فيه أبلغ من الكلام، تتحدث فيه النظرات الحادة، معبرة عن حالة الغضب الدفين، الذى يشبه طاقة البركان الكامن فى باطن الأرض.

أيقن يوسف أن المواجهة أصبحت حتمية، فطلب منى التوجه إلى أقرب استراحة، فكرت فى الاعتذار والمضى فى طريقى دون النظر إلى الوراء، لكنى أردت أن أغلق هذا الملف بطريقة صحيحة

سرت بجانبه، وشريط الذكريات يمر أمام عينىَّ، تذكرت خلاله كم الحب الذى كان يملأ قلبى، الآمال، الأحلام، الوعد، التخلى، والدى الذى فقدته على غفلة وأنا فى خضم حالة الاكتئاب، إخفاقاتى، حياتى التى كدت أن أفقدها، أحمد الذى دفع ثمن الجرح الذى أصابنى، كل خطوة كنت أخطوها كانت تجعلنى أستشيط غضبا أكثر فأكثر

جلست أمامه على الطاولة، تجنبت النظر إليه كى لا أتذكر المزيد من الذكريات المؤلمة، حتى بدأ الحديث:

- وصلت إلى أمريكا العام الماضى، كانت وجهتى ولاية بنسلڤانيا حيث الجامعة التى كنت ملتحقا بها، إلا أننى واجهت صعوبات فى التأقلم مع الطقس المتجمد

فى الشتاء، فقمت بمراسلة الجامعة هنا حتى حصلت على عرض مناسب، وقمت بالتحويل بعد انتهاء الفصل الدراسى الأول، فالطقس هنا لطيف كما ترين، وعند إتمام العام الدراسى اجتزت اختباراً يؤهلنى لتدريس التمويل إلى جانب الاقتصاد، وبدأت أدرسه بالفعل، وحصلت على سكن بالقرب من الجامعة و...

لم أتمالك نفسى وأحتمل سماع حكاياته عن نفسه فقاطعته:

- لم أكن أعرف أنك بهذه القسوة، أستيقظ فى الصباح لأجد رسالة على الواتس آب تنهى فيها كل شيء، تقطع على نفسك عهداً، تنقضة بعد أيام، تقابل أبى ويعرض عليك إدارة إحدى الشركات فتعطيه ظهرك، وتسير فى طريقك، متخلياً عنى، غير مبالٍ بالعرض الذى قدمه لك والدى، لماذا يا يوسف؟

- لأن والدتك طلبت منى الابتعاد عنك.

- والدتي؟!

- نعم، طلبت مقابلتى، وعرفت منها أننى شخص غير مرغوبٍ فيه، وأن والدك قدم لى العرض وهو مُجبر، وأن أحمد حسين العارف تقدم لخطبتك، وهو أحق بك

منى، وطلبت منى أن أنسحب فى هدوء، كى أتيح الفرصة لوالدك المريض أن يفرح بابنته.

- ألم تفكر فى وقع تصرفك عليَّ! أنت لا تعرف ما عانيته.

- وأنت كذلك لا تعرفين حجم ما مررت به بعد رحيلى عنك، لقد سئمت الحياة، وتمنيت الموت، لكن دعينا مما مضى، الآن أنت معى، جمعتنا الأقدار مرة أخرى.

- ليست الأمور بهذه السهولة، أنا لست نور التى عرفتها، إنما أنا مررت بتجارب لا يقوى على مجابهتها أحد، تخطيتها بعدما تركت آثارها بداخل كل ذرة فى كيانى، أنت لا تعرف شيئاً عن الماضى الذى تطلب منى أن أنساه!

- أعرف يا نور، أعرف أنك فقدت والدك الذى كنت تحبينه كثيراً، وتزوجت أحمد رغما عنك لإرضاء من حولك، وانفصلت عنه بإرادتك، أنت الآن حرة تستطيعين أخذ قراراتك بحرية.

- كيف عرفت أننى أستطيع أن آخذ قراراتى بحرية!
- لأنك استطعت أن تهجرى كل شيء وتسافرى لتحققى حلمك.

- كما هجرتنى أنت لتحققك حلمك! بل الأفضل أن تقول إننى أستطيع أن آخذ قراراتى بعقلانية
- أريد أن أتزوجك يا نور

توقف عنى الكلام، ولم أستطع النطق بكلمة واحدة، فها هو يوسف يظهر مرة أخرى ليقلب حياتى التى اعتدت على خلوها من وجوده بصعوبة، ليفاجئنى بطلب الزواج، ولكن هل أنا الآن مستعدة لهذه الخطوة!

عدت إلى غرفتى، والأفكار تدور فى رأسى، أتعجب، وأسأل نفسى:

لماذا أقابله مرة أخرى؟!

ما الذى يرتبه لنا القدر هذه المرة؟!

لم أجد أمامى إلا الاتصال بحياة، التى استجابت لطلب إجراء جلسة عبر تطبيق زووم، وقد حدثتها بكل ما حدث بينى وبين يوسف.

- نور لو كنت مقتنعة بيوسف فلماذا الحيرة إذن؟! الحقيقة إنك لست مقتنعة به، وتذكرى أن والدك كان له تحفظات عليه، وقد حدثك عنها من قبل.
- لكن أمى هى التى طلبت منه الابتعاد

- لو أنك كنت محل أمك لكنت تصرفتِ بنفس الطريقة، ومن أدراكِ؟ ربما يكون والدك تحدث إليها، وعبر لها عن مخاوفه فى حوار خاص بينهما، يجب أن تتحدثى إليها وتستمعى لها.
- إن أمى لا تهتم إلا بمصالحها.
- وكذلك يوسف، فى بعض الأحيان يا نور نرفض أشياء نراها فى أحد أبوينا، و تمر الأيام، ونجد أنفسنا نفعلها، أو نختار أشخاصاً ينتهجون نهجهم لنتعلق بهم، هذا يحدث دون أن نشعر والسبب فى ذلك أننا نحكم عليهم ونرفض تصرفاتهم
- أشعر فى كلامك أنك تتحاملين على يوسف
- انا لا أعرف يوسف، ولا أحمد، لكن أعرفك أنت، وأهتم لأمرك أنت، ودورى استشارى، أنا أرى الأمور من منظور مختلف، فأنت فى قلب الميدان، تتلقين الضربات من كل اتجاه، أما أنا فأشاهد فى هدوء، وأبلغك من أين تأتيك الضربة لتتفاديها.

أنت مازلت تتحفظين على أمك، لكونها لا ترى أمامها الا أهدافها، دون الالتفات للآخرين، وهذا ما فعله يوسف.

- وما الذى كان ينبغى عليه عمله؟

- الكثير يا نور..

سأجيب عن سؤالك بسؤال يا نور، أما كان ينبغى عليه أن يتحدث إليك قبل رحيلة؟!

كان يستطيع أن يتحدث مع والدتك، ويشعرها بحبه وتمسكه بك، يحاول أن يثبت لها عكس توقعاتها.. هناك العديد من الحالات تتحسن بداخلها العلاقات بحسن التصرف، فتتحول مشاعر الرفض إلى القبول والتعايش، ولكنه كان فى حيرة بين اختيار أحلامه أو اختيارك، فأخذ موقف أمك حجة لاختيار أحلامه حتى يرتاح ضميره، وتأكدى انه لو تتكرر هذا الموقف مرة أخرى فلن يختارك.

يقابل والدك الذى قدم له عرضاً، ويخبره بقراره ويعتذر له، لكنه ثار لكرامته عند أول مشكلة، ومضى فى طريقة غير مبالٍ بك.

أشعر بمعنى كل كلمة من كلام حياة، ولكنى كنت أحتاج إلى سماع هذا الكلام كى يترسخ هذا الشعور.

عندما كنت قريبة من أحمد كنت أظن أننى فى حاجة ليوسف، وعندما جاءنى يوسف متمنياً لم أجد القرار سهلا، لم أعد أتحمل المرور بالمزيد من الصدمات المستقبلية، بل أصبحت أبحث عن الاستقرار والأمان.

تذكرت جانباً من الحوار الذى دار بينى وبين والدى عندما قلت له:

- ظروف عملى والثراء الذى نعيش فيه، أفقدتني الكثير: الصديق، القريب، الهدوء، السكينة، إلى أن قابلت يوسف.

- تلك هى توقعاتك يا نور، ولكن الواقع قد يتفق أو يختلف معها، والأمر الأهم هل حقاً تريدين السفر؟ أتدركين معنى الاغتراب؟!

(هكذا كانت رؤية أبي الحبيب)

الآن وقد عرفت معنى الغربة أصبح بإمكانى الإجابة عن هذا السؤال، قضيت فترة طويلة أفكر فى الحكمة من وراء تلك الأحداث التى كنت ربما أحتاج إليها كى أستطيع ان أتخذ القرار الصحيح.

ويظل سؤال محدد يلح علىَّ:

- هل كان شعورى تجاه يوسف تعلقاً مرضياً تعافيت منه؟!

الفصل العشرون (الأخير)

ظل يوسف يحاول استعادة ثقتى فيه، بالاهتمام بأدق تفاصيل حياتى، فضلا عن تشجيعى على عرض لوحاتى، التى لاقت استحسان الحضور فى معرض داخل الجامعة، حتى أنه قام بالتنسيق مع بعض المجلات الفنية لتغطية المعرض والكتابة عن موهبتى.

كنت أعلم أن يوسف الذى يعرف كيف يصل إلى أهدافه سيظل يلاحقنى، إلا أنه لم يدرك التغيير الذى طرأ، علىَّ، فأنا لم أعد تلك الشخصية الهشة التى يمكن استغلال مشاعرها، أو السيطرة على أفكارها باسم الحب.

دعانى يوسف للاحتفال بنجاح المعرض، إلا أن الهدف الأساسى كان غير ذلك، كان احتفالاً أقل ما يقال عنه أنه احتفال رائع، أجاد يوسف اختيار المكان، والطاولة المزينة بورود التوليب التى أحبها، فضلاً عن الأغانى التى اتفق مع الفرقة على عزفها، وأخيرا خاتم الزواج الذى قدمه لى وهو راكع على ركبتيه فى مشهد سينمائى.

لا أخفى اننى تأثرت، وانصعت إلى تلك المؤثرات، وأعطيت له فرصة بقلب مفتوح حتى بدأ يتحدث إليّ

- قمت بالاتصال بالقنصلية المصرية، وأعدت كل شيء، لم يبق إلا تحديد موعد عقد القران.
- لن نتزوج بهذه الطريقة يا يوسف، يجب أن يتم كل شىء فى مصر بمباركة أسرتى
- أنا أرى أن ندعوهم إلى هنا، ونقيم حفلاً عائلياً بسيطاً
- لا أظن أن هذا يليق بى، ثم إننى لا أرغب فى الإقامة هنا، لقد حصلت على شهادة الماچستير، ويمكنك التدريس بإحدى الجامعات الدولية فى مصر.
- مستقبلنا هنا يا نور.
- مستقبلك أنت، أما أنا فعملى وأسرتى فى مصر.
- الحياة هنا منظمة وسهلة.
- الحياة هنا جافة، ليس بها مشاعر، يجب أن نعود.
- لا أستطيع، لابد أن أظل داخل أمريكا لفترة، لأحصل على الجنسية
- جنسية، أنا لا أفهم شيئاً.
- عندما التقينا أول يوم، حاولت أن أحكى لك عن بعض الأمور التى واجهتنى، إلا أنك قاطعتنى، فقررت أن أحدثك فى الأمر لاحقاً.
- تحدث .. أسمعك.
- عند وصولى إلى بنسلڤانيا كنت أمر بظروف نفسية صعبة وخاصة بعد علمى بخطبتك، فارتبطت بفتاة

أمريكية من أصول عربية، تزوجتها، لكن الزواج لم يستمر طويلاً، واتفقنا على الانفصال بعد حصولى على الجنسية، نظير مبلغ مالى تتقاضاه منى شهرياً.

- لماذا لم تخبرنى بهذا الأمر مسبقاً؟
- لم تعطى لى فرصة يا نور.
- أنت على عهدى بك، لا تضيع وقتك أبداً، بل تبحث دائماً عن مصلحتك.
- وما العيب فى هذا؟!
- العيب أنك إنسان أنانى تريد أن يدور الكون كله فى فلكك أنت فقط.
- نور، دعينا نطوى صفحة الماضى، ونبدأ من جديد.
- نبدأ هنا؛ لأن هذه هى رغبتك، وتلك هى ظروفك، ويجب على أن أنصاع إلى رغباتك، وأتنازل عن رغباتى، ولا أعلم ما الذى مازلت تخفيه عنى.
- لا شيء يا نور، أنا لا أخفى عنك شيئاً.
- ومن أدرانى؟ لا جدوى من الحديث يا يوسف.
- هدئى من روعك، الأمر ليس بهذا السوء، دعينا نتقابل غداً، وستكون الأمور على ما يرام.

جلست فى غرفتى لأعيد ترتيب أوراقى، الآن وقد عرفت الحكمة التى وضعت يوسف فى طريقى مرة أخرى، كى أرى فيه مالم أكن أراه من قبل، وأعرف

عنه ما حجبه عنى تعلقى المرضى به، وعرفت مغزى تصرف أمى، ومعنى كلام أبى الحبيب الذى كان يرى الاختلاف بيننا، وخشى على من جموح يوسف، فهمت سبب موقف حياة المعادى له، والمنحاز لأحمد.

أحمد الذى تحمل من أجلى الكثير، هل مازال يحبنى بعد كل ما بدر مني؟!

أمسكت بهاتفى، وأرسلت لحياة رسالة ستراها فى الصباح أقول فيها:

شكراً لك على كل شىء، لقد زالت عنى الغشاوة وتعافيت من التعلق واتخذت قرارى.

حزمت حقائبى، واتجهت إلى مطار تامبا، لاستقل الطائرة إلى نيويورك، فقد قررت العودة إلى مصر.

أردت أن أطوى تلك الصفحة بطريقة لائقة تليق بأخلاق أولاد الاصول، فهاتفت يوسف فور وصولى إلى نيويورك:

- نور، كنت على يقين أنك ستهدئين.
- أنا فى طريقى للعودة إلى مصر.
- نور، أرجوكِ لا تهدمى كل شىء، أنا أحبك، انتظرينى، سأسافر معك إلى مصر، ونتزوج ونعيش هناك كما أردت.

- فات الأوان يا يوسف، لن أستطيع أن أعطى لك ما تحتاجه، وأنت لن تشعر بما أحتاج، فنحن مختلفان
- أعطى لى فرصة ثانية وسأثبت لك العكس و.....

بينما كان يوسف يحاول التأثير على، تلقيت مكالمة أخرى تمنيتها كثيراً، فطلبت منه الانتظار لأتلقى تلك المكالمة:

- أحمد
- نور، أردت أن أطمئن عليك، وكنت أريد أن أهنئك بإتمام الدراسة والمعرض و..
- أنا فى مطار نيويورك، سأستقل طائرة العودة إلى مصر
- هل تعلمين أننى أتصل بك لأبلغك بأننى لتوى أنهيت إجراءات الوصول، ولا أزال داخل مطار نيويورك
- كيف عرفت أننى فى أشد الاحتياج إليك؟
- لأننى أعرف أننى فى اشد الاشتياق إليك.
- أنك حقا رجل الأفعال لا الكلمات.
- وأنت فتاة أحلامى منذ صباى.
- أرسل لى موقعك وسأصل إليك حالاً.

كنت أسمع صوت دقات قلبى، لكن هذه المرة لم تكن بسبب الأزمة، بل كانت من فرط السعادة التى لم أشعر بها من قبل.

تعدى مشهد لقائنا أفلام العندليب رومانسية وسط تصفيق وتهليل المحيطين بنا من مختلف الجنسيات، وكأننى أرسم مع أحمد بداية حياة جديدة بطعم نهايات أفلام بطلى المفضل.

أغلقت الخط الآخر، الذى كان لا يزال على الانتظار، ونزعت شريحة الرقم الأمريكى، وألقيت بها فى سلة المهملات، ووضعت مكانها الرقم المصرى.

النهاية

القاهرة فى ٢٩ مارس ٢٠٢٢

السيرة الذاتية



* داليا العطار

* حاصلة على بكالوريوس محاسبة جامعة القاهرة.

* دبلومة الموارد البشرية الجامعة الأمريكية ٢٠١٩

* أهدى اليكم مجموعة من المعانى الرفيعة من خلال أول أعمالى "حياة نور".

أتمنى أن تكون سبباً فى إسعاد القراء.


كتاب طيوف